# ميت حلاوة

محمد عناني

# ميت حلاوة

**مع دراسة نقدية بقلم د. سمير سرحان**

**تأليف**
**محمد عناني**

هنـــداوي

# ميت حلاوة

محمد عناني

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٣ ٣١٣٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور محمد عناني.

# المحتويات


| | |
|---|---|
| تقديم | ٧ |
| الأشخاص | ٩ |
| الفصل الأول | ١١ |
| الفصل الثاني | ٤١ |
| الفصل الثالث | ٦٧ |
| دراسة نقدية | ٨٥ |

# تقديم

على نحوِ ما أذكر في كتابي «فن الترجمة» — وما فَتِئتُ أُردِّد ذلك في كُتُبي التالية عن الترجمة — يُعد المُترجِم مُؤلِّفًا من الناحية اللغوية، ومن ثَمَّ من الناحية الفكرية؛ فالترجمة في جوهرها إعادةُ صَوغٍ لفكرِ مُؤلِّفٍ مُعين بألفاظِ لغةٍ أخرى، وهو ما يعني أن المترجم يَستوعب هذا الفكرَ حتى يُصبح جزءًا من جهاز تفكيره، وذلك في صورٍ تتفاوَت من مُترجِمٍ إلى آخر، فإذا أعاد صياغة هذا الفكر بلُغةٍ أخرى، وجدْنا أنه يَتوسَّل بما سمَّيتُه جهازَ تفكيره، فيُصبح مُرتبطًا بهذا الجهاز. وليس الجهاز لغويًّا فقط، بل هو فكريٌّ ولغوي؛ فما اللغة إلَّا التجسيد للفكر، وهو تجسيدٌ محكوم بمفهوم المُترجِم للنص المَصدَر، ومن الطبيعي أن يتفاوت المفهوم وفقًا لخبرة المُترجِم فكريًّا ولغويًّا. وهكذا فحين يبدأ المُترجِم كتابةَ نصِّه المُترجَم، فإنه يُصبح ثمرةً لما كتبه المؤلِّف الأصلي إلى جانبِ مفهوم المُترجِم الذي يَكتسي لغتَه الخاصة؛ ومن ثَم يَتلوَّن إلى حدٍّ ما بفكره الخاص، بحيث يُصبح النص الجديد مزيجًا من النصِّ المَصدَر والكساءِ الفكري واللغوي للمُترجِم، بمعنى أن النص المُترجَم يُفصِح عن عملِ كاتبَين؛ الكاتب الأول (أي صاحب النص المَصدَر)، والكاتب الثاني (أي المُترجِم).

وإذا كان المُترجِم يكتسِب أبعادَ المُؤلِّف بوضوحٍ في ترجمة النصوص الأدبية، فهو يكتسب بعضَ تلك الأبعاد حين يُترجِم النصوصَ العلمية، مهما اجتهد في ابتعاده عن فكره الخاص ولُغته الخاصة. وتتفاوت تلك الأبعاد بتفاوُت حظِّ المُترجِم من لغة العصر وفكره؛ فلكل عصرٍ لغتُه الشائعة، ولكل مجالٍ علمي لُغتُه الخاصة؛ ولذلك تتفاوت أيضًا أساليبُ المُترجِم ما بين عصرٍ وعصر، مِثلما تتفاوَت بين ترجمة النصوص الأدبية والعلمية.

وليس أدل على ذلك من مقارنةِ أسلوب الكاتب حين يُؤلِّف نصًّا أصليًّا، بأسلوبه حين يُترجِم نصًّا لمُؤلِّفٍ أجنبي؛ فالأسلوبان يتلاقَيان على الورق مِثلما يتلاقيان في الفكر.

فلكُلِّ مُؤلِّف، سواءٌ كان مُترجِمًا أو أديبًا، طرائقُ أسلوبيةٌ يعرفها القارئ حَدْسًا، ويعرفها الدارس بالفحص والتمحيص؛ ولذلك تَقترن بعض النصوص الأدبية بأسماء مُترجِميها مِثلما تقترن بأسماء الأدباء الذين كتبوها، ولقد تَوسَّعتُ في عرْض هذا القول في كُتبي عن الترجمة والمُقدِّمات التي كتبتُها لترجماتي الأدبية. وهكذا فقد يجِد الكاتب أنه يقول قولًا مُستمَدًّا من ترجمةٍ مُعيَّنة، وهو يَتصوَّر أنه قولٌ أصيل ابتدعَه كاتبُ النص المَصدَر. فإذا شاع هذا القول في النصوص المكتوبة أصبح ينتمي إلى اللغة الهدف (أيْ لغة الترجمة) مِثلما ينتمي إلى لغة الكاتب التي يُبدِعها ويراها قائمةً في جهاز تفكيره. وكثيرًا ما تَتسرَّب بعض هذه الأقوال إلى اللغة الدارجة فتحلُّ محلَّ تعابيرَ فُصحى قديمة، مثل تعبير «على جثتي over my dead body» الذي دخل إلى العامية المصرية، بحيث حلَّ حلولًا كاملًا محلَّ التعبير الكلاسيكي «الموت دونه» (الوارد في شِعر أبي فراس الحمداني)؛ وذلك لأن السامع يجد فيه معنًى مختلفًا لا ينقله التعبير الكلاسيكي الأصلي، وقد يُعدِّل هذا التعبير بقوله «ولو متُّ دونه»، لكنه يجد أن العبارة الأجنبية أفصح وأصلح! وقد ينقل المُترجِم تعبيرًا أجنبيًّا ويُشِيعه، وبعد زمنٍ يتغير معناه، مثل «لَمن تُدَقُّ الأجراس for whom the bell tolls؛ فالأصل معناه أن الهلاك قريبٌ من سامعه (It tolls for thee)، حسبما ورد في شِعر الشاعر «جون دَنْ»، ولكننا نجد التعبيرَ الآن في الصحف بمعنى «آنَ أوانُ الجد» (المستعار من خُطبة الحجَّاج حين وَلِي العراق):

آنَ أوانُ الجدِّ فَاشْتَدِّي زِيَمْ  قد لَفَّها الليلُ بسوَّاق حُطَمْ
ليسَ براعي إِبلٍ ولا غَنَمْ  ولا بجزَّارٍ على ظهر وَضَمْ

فانظر كيف أدَّت ترجمةُ الصورة الشعرية إلى تعبيرٍ عربي يختلف معناه، ويَحلُّ محلَّ التعبير القديم (زِيَم اسم الفرس، وحُطَم أي شديد البأس، ووَضَم هي «القُرْمة» الخشبية التي يَقطع الجزَّار عليها اللَّحم)، وأعتقد أن من يُقارِن ترجماتي بما كتبتُه من شِعر أو مسرح أو رواية سوف يكتشف أن العلاقة بين الترجمة والتأليف أوضح من أن تحتاج إلى الإسهاب.

محمد عناني
القاهرة، ٢٠٢١م

# الأشخاص

**مكرم:** قاهري-جامعي.

**نبوية:** متعلمة.

**فرج:** متعلم ريفي.

**حميد:** ريفي.

**محروس:** ريفي ساذج.

**سونة:** ريفية متعلمة.

**عبلة:** ريفية بلهاء.

**غريب:** قاهري-جامعي.

**نبيه:** ريفي.

**زقزوق:** ريفي.

**ظريفة:** ريفية.

**إبراهيم:** ريفي.

**عبد العال:** ريفي.

**الشاعر.**

**المغنية.**

**الراقصات.**

**رجال وسيدات:** بعضهم له أدوار صغيرة جدًّا.

# الفصل الأول

## المشهد الأول

**المنظر:** ساحة ريفية ضخمة تشبه أماكن انعقاد السوق، حولها طرقات تؤدي إلى أماكن متعددة، إلى اليمين باب ضخم مفتوح دائمًا، نرى من خلاله رفوف «الجمعية» الغاصَّة بالبضائع، وإلى أقصى اليسار باب دكان يُفتح ويُقفل حسب دخول وخروج «حميد». في منتصف المسرح عدة كراسي قديمة تنتهي لمقهًى بلدي متهالك في أقصى الخلف، وترابيزة أو اثنتان.

في الخلف إلى اليسار مصطبة يستخدمها الشاعر في الجلوس والإنشاد، وفي الخلف إلى اليمين صورة كوبري مكسور على ترعة أو فرع من فروع النيل .. صور في الخلفية البعيدة للحقول وبعض البيوت الريفية.

حينما يرتفع الستار نسمع إيقاعًا مرحًا سريعًا (طبلة أولًا، ثم دفوف، ثم لحن موسيقي سريع؛ وليكن تنويعًا على «على حسب وداد قلبي» القديم)، وعلى الفور يدخل الناس رجال وسيدات وهم يصفقون، ثم تدخل غازية ترقص على إيقاع سريع والناس تحاول أن تلمسها وهي تراوغهم، ثم يدخل «فرج» وخلفه طبال وزمَّار والشاعر. يجلس الشاعر على المنصة، ثم يتقدَّم فرج إلى منتصف المسرح — أو يقف على المنصة — ويبدأ مخاطبة الحشود.

**الوقت:** الثلاثينيات.

**المكان:** قرية من طرح النيل غير موجودة على الخريطة.

**فرج:** أرجوكم تسكتوا لحظة .. عندي خطبة صغيرة بمناسبة اليوم الخالد ده .. مش كل يوم بتحصل أحداث عظيمة زي دي .. (يقرأ من ورقة) لقد أحرز فريق التحطيب نصرًا خالدًا.

**الجمهور:** يعيش .. يعيش.
**فرج:** اليوم يوم خالد.
**الجمهور:** يعيش .. يعيش.
**فرج:** لقد كُتب لنا الخلود.
**الجمهور:** يعيش .. يعيش.
**فرج:** بفضل اللاعب الخالد.
**الجمهور:** بص شوف المرسي بيعمل إيه.

(يمكن أن يدخل هنا لاعبان يستعرضان فن التحطيب.)

**فرج:** وبهذه المناسبة تغني لنا صاحبة الصوت الذهبي.

(تدخل مطربة، وتبدأ بالغناء على الفور.)

**المطربة:**

ارقصوا يا بناتنا وغنوا،
والشاطر يعرض فنُّه،
اليوم كِدنا عوادينا،
والدنيا بتحكي عنه.

(يدخل مكرم لاهثًا.)

**مكرم:** فين فرج؟ (يراه) يا فرج .. فرج.
**فرج** (يأتي إليه في مقدمة المسرح بينما الرقص مستمر)**:** أهلًا مكرم أفندي.
**مكرم:** إنت فين يا فرج .. الحقنا.
**فرج:** خير إن شاالله.
**مكرم:** غريب بك اللي وصل النهارده الفجر؛ طلع مفتش ضرايب.
**فرج:** طيب وفيها إيه بس؟

**مكرم:** فيها إيه ازاي؟ دا جاي يحقق في الضرايب المتأخرة على الناس .. بيقول إن الناس هنا عمرها ما دفعت ضرايب للحكومة.

**فرج:** يا راجل روَّق كده ع الصبح .. خلينا في الحفلة الكبيرة .. إنت مش عايز تسمع الشاعر؟

(تعود الموسيقى والمطربة.)

**المطربة:**

ارقصي ع الطبلة يا حمدية،
خلينا سوا للصبحية؛
اليوم نلنا أمانينا،
والخير في إيديكي انتي وهيه.

**مكرم** (إلى فرج)**:** يا فرج العملية مش هزار .. ممكن تقلب بغم.
**فرج:** يا راجل فرفش وهيص .. مش دي الرقصة اللي انت بتحبها؟
**المطربة:**

الخير بيزيد في إيدينا،
والحب جمعنا ووحَّدنا،
كلنا شركا في الجمعية،
ولا حد غريب داخل بينا.

**مكرم** (صائحًا في ضيق)**:** اسمعني أرجوك يا فرج .. خلينا نتكلم جد .. غريب بك ممكن يطربقها على دماغتنا .. أنا صحيح موش من ميت حلاوة وما يهمنيش .. لكن برضه .. (مترددًا) يهمني.

**فرج:** إنت طول عمرك نكدي .. من يوم ما وصلت وانت كده.

(فجأةً يدخل غريب بك، وهو موظف حكومة تقليدي يرتدي طربوشًا، ويمسك منشة وحقيبة .. يسير في حذر ويتلفَّت حوله.)

**مكرم:** أهو غريب بك .. اتفضل .. اتفضل يا غريب بك.

**فرج** (يصرف الراقصات، ويرحب بغريب بك): أهلًا أهلًا ميت حلاوة نورت .. (ينهمك في صرف الراقصات، وتنظيم جلسة الشاعر).

**غريب** (في حذر): إيه الهيصة دي؟

**مكرم:** دول الجماعة بيحتفلوا بانتصار الفريق.

**غريب:** أنا موش قادر أتلم على نفسي م التعب.

**مكرم:** معلهش .. أصل الحتة بعيدة شوية.

**غريب:** بعيدة شوية بتقول؟ دانا خدت ركايب، وعديت معدية، ومشيت في الطين على رجلي، وغطست شوية وقبِّيت شوية.

**مكرم:** ولسه يا صاحبي .. يا ما حتشوف.

**غريب:** أشوف إيه تاني؟ دانا كأني سافرت للقطب الشمالي.

**مكرم:** وبصراحة .. أنا موش عايز أخوِّفك .. لكن حتشوف حاجات أغرب م القطب الشمالي.

**غريب:** قصدك إيه؟

**مكرم:** لا .. ولا يهمك .. أكل العيش مر.

**غريب:** يعني الناس مش ناويين يدفعوا ضرايب؟

**مكرم:** يا ريت على قد كده .. دول عجب .. عجب عجب.

**غريب:** إنت بقى لك كتير هنا؟

**مكرم:** والله مش فاكر.

**غريب:** إزاي بس؟

**مكرم:** ميت حلاوة بتنسِّي الواحد نفسه .. فيه ناس بيقولوا بقى لي شهر .. وفيه ناس بيقولوا سنة .. أنا شخصيًّا موش فاكر.

**غريب:** غريبة!

**مكرم:** اللي عايزك تفهمه إن ميت حلاوة زي ما تقول نسيها الزمن .. يعني شوف إحنا حاسِّين بالزمن قد إيه في مصر؟ كل يوم عندنا بيجيب جديد.

**غريب:** قصدك الراديو؟

**مكرم:** اختراع ممتاز .. ما حدش سمع عنه هنا .. ما حدش سمع ع الجرايد حتى .. الناس عايشين زي ما كانوا عايشين من خمسين ولَّا من ميت سنة .. معزولين عن بقية مصر والعالم.

**غريب:** أنا فعلًا دُخت على ما قدرت أحدد موقع المكان ده ع الخريطة.

**مكرم:** كويس إنك لقيته .. ده موش موجود في خرايط كتيرة .. ومع ذلك فأنا رأيي إنه مكان ممتاز .. قدر ينسى الزمن زي الزمن ما نسيه .. قدر يخلق لنفسه قوانينه الخاصة .. أحكامه الغريبة اللي ما حدش يفهمها غيره .. أصبح عالم غريب قائم بذاته .. زي عالم الفن.

**غريب:** قصدك إيه؟

**مكرم:** لا مؤاخذة، يمكن انت ما لكش في الفن.

**غريب:** بالعكس دا أنا بحب الفن موت.

**مكرم:** كويس .. أهو زي ما يكون رواية مستقلة لها أشخاصها وقوانينها وأحداثها.

**غريب:** قصدك شخصية مستقلة؟

**مكرم:** لا يا حبيبي لا .. أكثر من كده بكتير .. دول منقطعين عن العالم الخارجي بصورة تامة .. شايف الكوبري المكسور اللي هناك ده؟ أنا في رأيي إنه بيمثل العلاقة اللي بينهم وبين أهل مصر كلها.

**غريب:** وانت جيت هنا ازاي؟

**مكرم:** دي قصة طويلة .. اتعيِّنت بالغلط .. من كتر فرحتي بالتعيين في الحكومة كتبت ع الاستمارة يا ميت حلاوة، قام الموظف مضاها م المدير على إنها اسم البلد اللي أنا رايحها.

**غريب:** الغلط يتصلح.

**مكرم:** مستحيل .. كان لازم أنفذ يا تضيع الوظيفة.

**غريب:** ما فيش زي الحكومة .. لازم بتاخد اتناشر جنيه زيي.

**مكرم:** في الحقيقة ما باخدش حاجة دلوقت خالص.

**غريب:** يا راجل مش معقول.

(تدخل سونة في عجلة.)

**مكرم:** سونة أهي .. لا مؤاخذة .. لازم أستأذن خمسة.

**غريب** (غامزًا في فهم)**:** ميعاد خصوصي؟

**مكرم:** حتعرف بعدين.

**سونة:** إزيَّك يا سي مكرم.

**مكرم:** إزيِّك يا سونة؟

**سونة:** كنت عايزاك في كلمة صغيرة.

**مكرم:** وما له .. اتفضلي.
**سونة:** أَصلي مكسوفة.
**مكرم:** آه .. من البيك؟ ولا يهمِّك .. دا الأستاذ غريب بك .. مأمور ضرايب.
**غريب:** تشرفنا يا هانم.

(سونة تهمس له بعض الكلمات، ثم تخرج.)

**مكرم:** وهو كذلك.

(فرج يأمر الشاعر بالانصراف، ويواجه الجمهور.)

**فرج:** أرجوكم .. اسمعوني لحظة .. نظرًا لظروف خارجة عن إرادتنا .. وبصراحة لأن الشاعر لم يحفظ القصيدة .. فقد تقرر تأجيل الاحتفال إلى ما بعد العشا .. انصراف .. (صائحًا) انصراف، بقول موعدنا بعد العشا .. انصراف.

(إظلام سريع.)

## المشهد الثاني

(يرفع الستار فورًا؛ لنرى مكرمًا واقفًا وحده.)

**مكرم:** الدنيا ليِّلت أهه ولسه ما جاتش .. يا ترى إيه اللي أَخَّرْها كده؟ أنا واثق إنها قالت لي أشوفك المغربية عند الجمعية.

(يدخل حميد.)

**حميد:** إنت لسه هنا يا مكرم أفندي؟
**مكرم:** إزيَّك يا عم حميد .. إيه اللي جابك دلوقت؟
**حميد:** خير .. خير .. كل خير.
**مكرم:** جاي تعمل إيه بقول؟
**حميد:** خير إن شاء الله.
**مكرم:** جاي تِطمن على الدكان وتروَّح؟

**حميد:** لا والله .. أنا حاعمل تعميرة للصبح هنا .. أصل البلد هايصة، وانا ما حِبِّش الهيصة.

**مكرم:** آه .. عشان الفريق انتصر؟

**حميد:** لا .. عشان الغنم ضاعت.

**مكرم:** غنم مين لا سمح الله؟

**حميد:** غنم مين؟ جرى إيه يا مكرم أفندي؟ هو انت لسه حاتعلم عن بلدنا؟

**مكرم:** قصدك غنم الجمعية؟

**حميد:** غنمنا كلنا.

**مكرم:** برضه مش فاهم.

**حميد:** وهي دي فيها حاجة تتفهم؟ اقعد .. اقعد .. خد لك نفَسين معاي هنا .. (يُحضِر جوزة، ويقدِّم أخرى لمكرم) اتفضل .. خد يا راجل روَّق دمك.

**مكرم:** معلهش ما تآخذنيش .. بس أصلها موش داخلة مخي .. غنم الناس .. غنم ميت حلاوة .. تضيع؟

**حميد:** تلات تلاف أربع تلاف راس .. كله ضاع.

(يقرقر الجوزة.)

**مكرم:** بس ده موش ممكن! مستحيل!

**حميد:** إيه هو اللي موش ممكن؟ إنت بتكدِّبني؟

**مكرم:** العفو يا حميد يا صاحبي .. بس أصله يعني .. إزاي؟!

**حميد:** زي الناس .. دهدي.

**مكرم:** بس الناس ما بتتسرقش.

**حميد:** بتضيع .. والغنم ضاعت.

**مكرم:** كانت في زريبة لا مؤاخذة، وبعدين راحت زريبة تانية؟

**حميد:** خرجت من كل زرايب البلد .. زهقت م الحبسة .. طهقت .. هجِّت.

**مكرم:** وما حدش عرف راحت فين .. م الجرة اللي ع الأرض .. من صوتها .. من ريحتها؟

**حميد:** شوف يا مكرم يا بني .. الحاجات دي أكبر من عقولنا .. الغنم باختصار سابت الزريبة الكبيرة والزرايب الصغيرة كمان وخرجت.

**مكرم:** موش ممكن يكون حد سرقها؟

**حميد:** علمه عند ربي .. (يجلس ليدخن في هدوء) أنا خلِّيني مع الجوزة هنا للصبح لحد ما يهدوا .. زي كل مرة.

**مكرم:** كل مرة ازاي؟

**حميد:** يعني .. كل ما تضيع حاجة كتيرة كده يعملوا شوية دوشة وبعدين يهدوا.

**مكرم:** لا مؤاخذة .. أَصلي أول مرة أسمع فيها على حاجة زي كده .. لسه ما عرفتش ميت حلاوة كويس.

**حميد:** الجوزة جاهزة.

**مكرم:** لا متشكر.

**حميد:** مستنِّي حد هنا؟

**مكرم:** لا أبدًا .. ليه؟

**حميد:** باحسب البِت سونة جاية تقابلك هنا.

**مكرم:** وإيه اللي خلاك تتصور إني ... إني ...

**حميد:** إيهِّيه .. أمَّال إيه اللي حيجيبك هنا بعد المغربية لوحدك؟! إيه اللي يخليك تسيب غريب فرقع لوز بتاعك؟

**مكرم:** فرقع لوز مين؟ دا مأمور ضرايب.

**حميد:** وتِنكر ليه؟ هي فيها حاجة؟ كنت بس عايز أقولك إن سونة جايز تتأخر .. جوزها مشغول في حكاية الغنم، ولسه ما حضَّرتلوش العشا.

**مكرم** (مصعوقًا)**:** جوزها؟

**حميد:** لهونت ما تعرفش إنها اتجوِّزت محروس الصبح؟

**مكرم:** لأ .. آه .. لأ في الحقيقة.

**حميد:** هي مش قالتلك إنها حتتجوز محروس الأول، وبعدين تتجوزك؟

**مكرم:** دا كان هزار.

**حميد:** ما فيش حد حدانا بيهزر.

**مكرم:** خدعتني.

**حميد:** خدعتك ليه بس؟ أهي اتجوزته زي ما قالتلك.

**مكرم:** وهو ده موش خداع؟

**حميد:** خداع ليه كفى الله الشر؟ محروس اتقدِّم لها قبلك .. ووعدته .. وبعدين اتقدِّمت لها انت ووعدتك .. يبقى انت بعده.

**مكرم** (منفجرًا): بعده إمتى بس يا حميد يا خويا؟ هو دخول الحمَّام زي خروجه؟! خلاص .. اتجوزت محروس يبقى أنا انتهيت .. وانا اللي كنت حاطط أملي كله فيها .. وبصراحة ما صبَّرنيش ع البلد الغريبة دي إلا سونة.

**حميد:** يا ابني اعقل .. سونة عند وعدها.

**مكرم:** وعد إيه بقى يا حميد انت كمان؟ بتحبني وعايزة تتجوزني .. تقوم تتجوز واحد تاني؟

(يدخل رجلان إلى المحل المفتوح إلى أقصى اليمين — الجمعية — فيحملان أكياسًا ويخرجان.)

**مكرم:** استنَّى يا جدع انت وهوَّا .. رايحين فين؟

**الرجل ١:** مسا الفل عليك.

**الرجل ٢:** مسا الخير يا حميد.

**مكرم:** إنتو آخدين القمح ده ورايحين فين؟

**الرجل ١:** نطحنه.

**مكرم:** أيوه عارف .. بس ده بتاعكو؟

**الرجل ٢:** بتاعك انت؟

**مكرم:** لا.

**الرجل ٢:** أمَّال إيه اللي مدايقك؟

**مكرم:** دا بتاع الجمعية .. بتاع المجتمع .. بتاع الناس.

**الرجل ٢:** واحنا مش ناس برضه يا مكرم أفندي؟

**مكرم:** أيوه .. لكن ..

**الرجل ١:** لكن إيه بس؟ نوَّرنا يا سيدنا الأفندي.

**مكرم:** إذا كل واحد خد شوية حيخلص.

**الرجل ٢:** ما هو لازم يخلص م الجمعية عشان نجيب غيره م الصوامع.

**مكرم:** قصدي إذا اتوزع ع الناس كلها يمكن ينوبكوا أقل م اللي خدتوه.

**الرجل ١:** ممكن.

**الرجل ٢:** يعني قصدك نرجَّع شوية؟

**الرجل ١:** قصدك أخدنا كتير؟

**مكرم:** ما اعرفش.

**الرجل ٢:** دا يَدُوْبك قد عشر أرغفة سن.
**مكرم:** كدهه؟!
**الرجل ١:** نرجَّع قد إيه؟
**مكرم:** ما اعرفش.
**الرجل ٢:** إيه اللي ما اعرفش؟ أمَّال بس زعلان قوي وبتصرخ ليه؟
**الرجل ١:** يلَّا بينا يا برهوم.
**الرجل ٢:** خليناك بعافية يا سي مكرم .. سلامو عليكم.

(يخرجان.)

**مكرم:** أنا أعصابي تلفت يا حميد.
**حميد:** اللي يسمعك كده يقول دا لسه واصل النهارده. أمَّال لو ما كانش بقى لك معانا مدة طويلة؟
**مكرم:** نفسي آخد على حكاية الجمعية دي موش قادر.
**حميد:** بكرة حتاخد عليها وعلى غيرها.

(ضجة في الخلفية، ويدخل رجل ومعه شرطي ورجال كثيرون.)

**الرجل:** ومِشْيِت الغنم طوَّالي لحاد البحر.
**الشرطي:** كان معاهم ناس؟
**الرجل:** أبدًا .. كان قدامهم زي ما تقول لا مؤاخذة كبش كبير.. حاجة محترمة .. بقرون، وليَّة قاد كدهه.
**الشرطي:** عظيم عظيم، وبعدين.
**الرجل:** تعالوا ورايا.
**الشرطي:** قول لي الأول .. كان فيه كباش تانية معاه؟
**الرجل:** أمَّال .. كتير.
**الشرطي:** عال .. عال.
**امرأة** (من وسط الحشد)**:** سُمان؟
**الرجل:** إلا سمان .. حاجة تعجبك.
**المرأة:** كان فيهم واحد بقرن معووج؟
**الشرطي:** مش مهمة دي.

**المرأة:** إزاي مش مهمة؟ دا كنت حاطة عيني عليه .. كنت غاوياه خالص.
**الرجل:** أنا والله ما خدتش بالي.
**الشرطي:** إنما الكل اتجهوا ناحية البحر؟

(حميد يتقدَّم من الشرطي، ويخاطبه.)

**حميد:** إنت عامل في نفسك كده ليه يا عب عال؟ إيه اللي ملبسك ميري النهارده؟
**الشرطي:** أعمل إيه؟ زنقة الغنم .. بكرة تفوت يا عم حميد.
**حميد** (إلى الرجل)**:** والكلام ده كان ع المغربية كده يا بني؟
**الرجل:** ع المغربية بالظبط من دقيقة واحدة.
**حميد:** والغنم دي كلها فاتت من هنا؟
**الرجل:** أنا شايفها بعيني.
**حميد:** ولا سابتش جرة ع الأرض التراب دي كلها؟
**الرجل** (متلعثمًا)**:** ما هم .. ما هم .. كانوا بيمشوا بشويش.
**حميد** (إلى الشرطي)**:** دا كداب يا عبد العال.
**الشرطي:** كداب؟ (إلى الجمهور) الراجل كداب.
**الجمهور** (يصيح)**:** كداب .. كداب.

(يخرج الجميع خلف الرجل الذي خاف وبدأ يجري في ذعر من الجمهور.)

**مكرم** (إلى حميد)**:** ما فيش أمل .. أروَّح أنا بقى.
**حميد:** يا بني زمانها جاية .. ما دام قالت جاية يبقى حتيجي.
**مكرم:** وتيجي ولا ما تجيش .. ما خلاص.
**حميد:** خليك صبور بس.. أهو محروس (يدخل محروس).
**مكرم:** جوزها؟
**محروس:** مكرم أفندي .. سونة بتعتذر .. أصلها تعبانة شوية .. وع العموم إن كان فيه حاجة تحب تقولها لها يا إما تقول لي عليها — ما تنكسفش — أو تتفضل معاي.
**مكرم:** قول لها كل سنة وانتي طيبة (يضحك حميد).

(إظلام سريع.)

## المشهد الثالث

(نفس المنظر – الشاعر يجلس ويدندن على الربابة – فرج يصطحب عبلة معه هذه المرة – يعلن على الجمهور بداية الحفل.)

**فرج:** الآن .. استجابةً لطلب الجماهير .. شاعر الغبرا.. ومطرب الأُمرا .. زيد أبو زيد الدرويش.

**الجمهور:** يعيش .. يعيش.

**الشاعر** (يبدأ):

أول ما نبدا نصلي ع النبي المختار،
واللي ما يسمع ينشوي بالنار،
المصطفى أوصى بضرب الكافر،
والحر ما يعاشر غير الأحرار.

(مكرم يدخل ثائرًا.)

**مكرم** (يسأل مجموعة إلى اليمين): ما حدش عرف الغنم راحت فين؟

(يسكت الشاعر بينما يتهامس الناس في دهشة: غنم .. غنم؟ غنم إيه؟)

(يسأل مجموعة أخرى) ما حدش شاف خرفان تايهة؟ كام نعجة كده هايمة وضايعة؟

(لا أحد يلتفت إليه.)

– فرج .. إنت يا ملك المهرجان .. سامعني يا فرج.

**فرج** (قادمًا إليه): إيه بس يا مكرم أفندي كفى الله الشر .. الناس عايزة تفرح وتزقطط.

**مكرم:** ما حدش بيرُد عليَّ ليه؟

**فرج:** م الفرحة يا مكرم.

**مكرم:** بالخيبة التقيلة؟

**فرج:** بالنصر العظيم .. بالخلود.

**مكرم:** إنت موش عارف بيحصل إيه في ميت حلاوة النهارده؟

**فرج:** يا أخي روق وهيص .. دقِّي يا مزيكا.

(أثناء الحوار التالي تتحرك شفاه الشاعر، ولكن دون أن نسمع ما يقول، والناس تستحسن ما يتغنَّى به.)

**مكرم:** أعمل إيه عشان أخليك تفهم؟

**فرج:** ما تقلقش .. أنا قلت للست نبوية وهي حتتصرَّف.

**مكرم:** إحنا ما لنا وما لها دلوقت .. إحنا في المصيبة اللي احنا فيها .. أنا لحد دلوقت موش عايز أقول لغريب بك ع اللي بيحصل .. لكن مسيره يعرف .. وساعتها بقى ...

**فرج:** الضرايب يعني؟ ولا يهمك .. ما حدش عنده فلوس خالص.

**مكرم:** يا فرج يا خويا المسألة معقَّدة أكتر من كده .. إحنا ممكن نخبِّي عنه حكاية الغنم دي.

**فرج:** تخبِّي إيه يا مكرم أفندي؟ إحنا ما عندناش حاجة تستخبى.

**مكرم:** دي مسئولية يا فرج.

**فرج:** مسئولية إيه وكلام فارغ إيه؟ إن كان عايز يشوف الغنم نورِّيها له.

**مكرم:** نورِّيها له منين؟ إنت موش عارف إن الغنم ضاعت؟

**فرج:** نفرَّجه ع المعيز.

**مكرم:** يا فرج افهمني .. الراجل بتاع قانون موش تاجر مواشي .. الحكومة هي اللي باعتاه.

**فرج:** بقى الحكومة تبعت أفندي محترم .. بك بمنشة عشان يتفرج ع الغنم؟

**مكرم:** عشان يحقق في الضرايب.

**فرج:** اسمع يا مكرم .. إنت أحسن لك تقابل الست نبوية.

**مكرم:** أنا؟ أقابلها أنا؟

**فرج:** ما تخافش .. خليك جريء.

**مكرم:** تيجي معاي؟

**فرج:** لأ .. قابلها انت، واتفاهم معاها.

**مكرم:** لوحدي؟!

**فرج:** خليك راجل .. خليك مجدع .. مجدع.

(يرتفع صوت الشاعر بينما يتهامس مكرم وفرج.)

**الشاعر:**

المجدع أبو أيوب شايل شومة،

* * *

راجل ومولود بطل من يومه،
نزل الحمى وحمى الوطيس قدامه،
رفع الدراع ونزل كما الإعصار.

* * *

زاغ العدو براسه تقولشي حنش،
فارع طويل أبيض في وشه نمش،
سرخ العدو سرخة وهب كبش،
راوغ كمثل التعلب المكَّار.

* * *

يومك يا أبو أيوب ما يهمكش،
انهض وشد دراعك المفتول،
نهض الفتوة زي شعلة نار،
وفي لحظة أخرج خنجره البتَّار.

* * *

خنجر مزنهر زي نور الفجر،
رأسه بتضوي جُوَّه سابع ليل،
غمزه الفتوة جُوَّه بطن عدوه،
خلَّاه يغني آه يا عيني يا ليل.

**الجمهور:** يعيش .. يعيش.

(أثناء الإنشاد فرج يترك مكرم، وينادي عبلة فتأتي إليهما بينما يدخل غريب بمجرد انتهاء الشاعر من آخر مقطع.)

**مكرم** (يتجه إليه، ويرحب به بينما ينفرد فرج بعبلة)**:** أهلًا غريب بك .. اتفضل .. إياك تكون استريحت شوية.

**غريب:** أبدًا والله .. من ساعة ما سبتك وانا بلِف على رجلي .. ما كنتش متصوِّر إن البلد كبيرة للدرجة دي.

**مكرم:** المهم تكون عجبتك.

**غريب:** ظريفة .. ظريفة خالص.

**مكرم:** وناوي تمشي إمتى؟

**غريب:** لَّما انتهي من عملية الضرايب المتأخرة.

**مكرم:** طيب ما دام حتقعد معانا بقى.

**غريب:** أقعد معاكو ازاي؟

(تدخل سونة وتجري إلى مكرم.)

**سونة:** مكرم .. مكرم .. قالوا لي إنك هنا.

**مكرم:** إزيِّك يا سونة؟

**سونة:** إزيَّك يا مكرم؟

**مكرم:** وازَّي محروس؟

**سونة:** إنت زعلان مني؟

**مكرم:** أبدًا .. وحازعل منك ليه؟

**سونة:** إنت بتهزر.

**مكرم:** ما حدش حدانا بيهزر.

**غريب** (يتقدَّم منهما)**:** اسمحي لي أقدِّم نفسي.

**سونة** (مستمرة)**:** يعني حاتيجي معاي.

**مكرم:** آجي معاكي فين؟

**غريب:** مأمور ضرايب .. ليسانس حقوق.

**سونة:** ع البيت طبعًا.

**مكرم:** أنهو بيت؟

**سونة:** بيتنا طبعًا .. دهدي .. داني بدور عليك م الصبح.

**مكرم:** محروس عايزني في حاجة؟

**سونة:** كولنا .. كلتنا عايزينك يا سي مكرم.

**غريب:** ما تروَّح معاها يا مكرم .. خليك اسبور، أنا أفهم في الحاجات دي كويس قوي .. اتفضل، ما تخافش عليَّ .. أنا حاقدر اتصرَّف لوحدي.

**مكرم:** إنت عارف دي مين يا غريب بك؟
**غريب:** سبق اتعرفنا.
**مكرم:** دي يا سيدي سونة هانم .. بنت أم سونة.. حبيبتي .. كنت لحاد النهارده الصبح بحبها وبتحبني.
**غريب:** وبطلتوا تحبوا فجأة ليه؟
**مكرم:** أنا ما بطَّلتش .. بس هي اتجوزت محروس.
**غريب:** رغم إنها بتحبك؟! غير منطقي.
**سونة:** يعني إيه يا سي غريب؟
**غريب:** يعني مش معقول.

(يتقدَّم منهم فرج وعبلة.)

**فرج:** إيه يا مكرم أفندي .. مش مندمج في الحفل ليه؟
**مكرم:** الموضوع اتلعبك حبتين.
**فرج:** خير إن شاالله.
**غريب:** اسمح لي أقدِّم نفسي.
**فرج:** أهلًا غريب بك.
**غريب:** اسمي غريب .. وصلت الصبح .. والآنسة؟
**فرج:** آه .. دي عبلة .. خطيبتي.
**غريب** (هامسًا لمكرم): رائعة الجمال.
**مكرم** (هامسًا لغريب): ابعد عنها طاوعني.
**فرج:** كتكوتة خالص .. مش كده؟ أنا أول واحد بتتجوزه في حياتها .. إيه رأيك يا غريب بك؟

(مكرم يتعاتب مع سونة بعيدًا.)

**غريب:** مبروك.
**فرج:** حلوة؟
**غريب:** رائعة.
**فرج:** إحنا بنحترم الجواز هنا جدًّا .. كل واحد لازم يتجوز .. وما دام عاجباك يبقى ...

**غريب** (مقاطعًا في حرج): أنا ما اقصدش يا فرج أفندي.
**فرج:** لا يمكن .. لازم نجوِّزك ونفرح بيك.
**غريب** (في ارتباك شديد): يا فرج أفندي أنا كنت باجاملك.
**فرج:** يعني موش عاجباك؟
**عبلة** (تبكي): يا ميلة بختي ياني .. هُمَّ بنات مصر أحلى مني .. آه ياني آه ياني.
**غريب:** ما اقصدش يا عبلة هانم .. إنتي شكِلك ممتاز.
**فرج:** يبقى اتفقنا .. خلاص.
**غريب:** بس أنا موش ممكن أتجوِّز .. أنا في مهمة خاصة .. في مهمة رسمية .. في شغل .. يا ناس افهموني (يصيح على مكرم) مكرم .. يا مكرم أفندي .. أرجوك الحقني.

(مكرم وسونة يقتربان منهم.)

**مكرم:** موش كنت بتقول حتقدر تتصرَّف؟
**غريب:** موش وقت شماتة أرجوك .. اتكلم .. اشرح لهم إني في مهمة رسمية.
**مكرم:** طيب وما له.
**غريب:** يا مكرم دول عايزين يجوِّزوني!
**عبلة** (صارخة): شكلي ممتاز.
**مكرم** (ضاحكًا): دي ميت حلاوة يا بيه.
**فرج:** واللي منه لا بد عنه.
**غريب:** دي خطيبتك يا فرج أفندي.
**عبلة:** أتجوزك بعد فرج على طول.
**فرج:** وأنا ما عنديش مانع.
**غريب:** لكن أنا عندي .. عندي عذر.
**فرج:** ما فيش أعذار .. خلاص .. مبروك.

(يعلو صوت الشاعر.)

**الشاعر:**

النور بدا زي القمر ما يهل،
عم السما، وكسا الجناين طل،

السعد وعد قالوها في الأمثال،
مبروك لكل حبيب، وليلة زي الفل.

**مكرم** (صائحًا): بس يا شاعر الغبرا .. كفاية يا مطرب الأُمرا (إلى غريب) عرفت أنا قصدي إيه يا غريب بيه؟ آدي ميت حلاوة، وآدي أول لحسة تلحسها منها. لمعلوماتك .. كان فيه هنا تلات آلاف أربع آلاف راس غنم وضاعوا .. حدش يعرف راحت فين؟ اسألهم.
(يسأل مجموعات الناس.)
الغنم راحت فين؟ طارت؟ عدَّت البحر؟ أكلتوها؟ طب فين نصيبي؟ اتسرقت؟ إزاي؟ إزاي؟ الحرامي حيودِّيها فين؟ ما كانش فيه غنم أصلًا؟ طب دانا شايفها بعينيَّ دول؟ يا ناس حتجنن .. ضرايب ما بتدفعوش موش شغلي .. ما سمعتوش عن الراديو ولا الجرايد ولا التليفون .. أريح .. ما عندكوش مواصلات وخلافه .. أجدع .. إنما الغنم .. الغنم راحت فين؟ الغنم راحت فين؟

(يعلو صوته في كريشندو بينما يحيط به الجمهور ويُطبِق عليه.)

(ستار سريع.)

## المشهد الرابع

(نفس المنظر – ضوء النهار يعُم – يدخل مكرم وغريب من أقصى اليمين، ويدخل في الوقت نفسه فرج من أقصى اليسار.)

(الناس تدخل الجمعية إلى أقصى اليمين، وتخرج محملة بالبضائع.)

**مكرم:** أهو فرج يا غريب بك.
**غريب:** هو ميعادها الساعة كام؟
**مكرم:** الضُّهر .. صباح الخير يا فرج.
**فرج:** أهلًا وسهلًا بغريب بك .. على الله تكون نمت كويس.
**غريب:** الست نبوية جاية الساعة كام؟
**مكرم:** ما قلت لك الضُّهر.
**غريب:** يعني الساعة ...

**مكرم:** ما فيش ساعة .. فيه فجر وصبح وضحى وضهر وعصر ومغرب وعشا .. وبعد العشا.

(يدخل حميد خارجًا من باب دكانه.)

**حميد:** لحقنا بقينا نهار؟!
**مكرم:** ونهار .. وليل.
**فرج:** إنت لسه سُطَل يا حميد؟
**حميد:** مين؟ فرج .. مكرم؟ إنت لسه هنا؟
**مكرم:** لا انت عايز تفوق، ولا حد غاوي يشوف نور النهار.
**حميد:** قصدك أحرق دمي عشان أفوق .. ولَّا أفوق عشان أحرق دمي؟ (في هدوء) ليه؟ فيه إيه في الدنيا يستاهل حرق الدم؟
**مكرم:** ما هو ما دام انت نايم في العسل حتعرف الحقيقة ازاي؟
**حميد:** واعرف ليه؟
**مكرم:** لا آه .. اسمح لي بقى.
**غريب:** أنا عارف نوع الأستاذ حميد كويس .. فاهمه تمام.
**مكرم:** أنا مش قلت لك تسكت يا غريب بيه؟ إنت عايز تطيَّر شوية المخ اللي فاضلين لي؟ إحنا موش اتفقنا إنك تسكت خالص وما تتكلمش إلا في الضرايب المتأخرة؟
**غريب:** بقى لها سنين.
**مكرم:** ومع الست نبوية بس.
**غريب:** أعصابك تلفت خالص يا مكرم أفندي.
**مكرم:** أعصابي؟ (في انهيار واضطراب شديد) أعصابي حديد .. نحاس .. فولاذ .. أصل أنا ممكن أستحمل .. ممكن أتغيَّر (صارخًا) إنت فاكرني هفأ؟
**غريب:** ما تشوف له حاجة ياخدها يا أستاذ فرج (إلى حميد) حاجة تهدِّي أعصابه يا أستاذ حميد .. أنا مش مستريَّح لمنظره أبدًا.
**مكرم** (صائحًا): ما له منظري يا عمر؟ مش أحسن من فرج .. بقى تصدق إن فرج ده خرِّيج جامعة زيِّنا .. فرج ده اللي دلوقت لابس بلدي، واتخصَّص في المهرجانات والغوازي والمطربات .. اتحوِّل .. انتهى يا غريب بك .. أنا لا يمكن أتحوِّل .. ولا انت ليه؟
**فرج:** كفاية بقى يا مكرم أفندي.
**حميد:** أنا متهيأ لي سمعت الكلام ده قبل كده .. إمتى يا حميد؟ زمان خالص.

**فرج:** أرجوك يا مكرم .. تعالى معاي نستعجل الست نبوية.

(يسحبه من ذراعه.)

**مكرم:** ليه؟ ما قلتليش ليه؟
**فرج:** تعالى بس.

(يخرجان.)

**حميد:** من أيام طنابير المية ما ضاعت.
**غريب** (مدهوشًا): ودي ضاعت زي الغنم كده ما ضاعت؟ يعني مشيت لوحدها كده؟ هجِّت؟
**حميد:** دي حاجة فوق عقولنا يا غريب بيه.
**غريب:** أقصد يعني مفهوم إن الغنم تمشي .. تزهق .. تسيب الحظيرة وتخرج .. لكن الطنابير .. إزاي؟
**حميد:** وانت يهمك في إيه؟ إنت ما لك؟
**غريب:** ما لي ازاي؟
**حميد:** هي طنابيرك؟
**غريب:** لا .. بس برضه يهمني.
**حميد:** ليه؟
**غريب:** طبيعة عملي .. حضرتك عارف إني باحقَّق في الضرايب المتأخرة على ميت حلاوة.
**حميد:** ميت حلاوة كلها مرة واحدة؟
**غريب:** ثبت لنا من دفاتر الحكومة في مصر إنه ما دخلش للدولة أي ضرايب من أهالي المنطقة دي من سنين وسنين.
**حميد:** الضرايب دي فلوس يعني؟
**غريب:** طبعًا.
**حميد:** بس احنا ما عندناش.
**غريب:** ما عندكوش إيه؟
**حميد:** عندنا .. بس قليل.
**غريب:** تدفعوا .. على قدكوا.

**حميد:** قليل يعني.
**غريب:** قليل، ولَّا كتير.
**حميد:** بس احنا ما عندناش.
**غريب:** وبعدين يا أستاذ حميد؟ الأراضي .. المحاصيل .. الغلال .. المواشي والأغنام.
**حميد:** أيوه صحيح.
**غريب:** دي كلها تساوي كتير.

(صمت.)

**حميد:** صحيح.
**غريب:** وعشان كده لازم تدفعوا حق الدولة.
**حميد:** صحيح.
**غريب:** لأن الدولة لها حق .. لها نصيب في كل حاجة عندكو .. مقابل الخدمات العامة اللي الدولة بتأدِّيها لكم.
**حميد:** صحيح.
**غريب:** كل الخدمات اللي انتو ما تقدروش عليها لوحدكم .. زي الطرق .. الشوارع.
**حميد:** ما لها الطرق؟
**غريب:** الطرق اللي الحكومة بتعملها .. الطرق المرصوفة.
**حميد:** هي الحكومة بتعمل طرق؟!
**غريب:** طبعًا .. وشوارع، وكباري .. طرق مرصوفة عشان المواصلات.
**حميد:** لكن احنا ما عندناش لا طرق مرصوفة، ولا كباري.
**غريب:** إزاي بقى؟ طبعًا فيه .. أمَّال بتمشوا في إيه؟
**حميد:** قصدك حواري ميت حلاوة؟
**غريب:** والطرق اللي واصلة لها.
**حميد:** بس دي معمولة من زمان واصل .. من قبل الخديوي عباس أفندينا.
**غريب** (يضحك)**:** ولو .. ولو يا أستاذ حميد .. بس دي اتصلَّحت.
**حميد:** أبدًا .. عمرها ما اتصلَّحت.
**غريب:** اللهم ألهمنا الصبر .. بلاش الطرق .. عندك الإنارة.
**حميد:** اللُّمض الجاز؟ الكلوبات دهي بتاعة الحكومة كمان؟

**غريب:** بلاش اللُّمض .. المية.

**حميد:** النيل؟

**غريب** (منفجرًا): المرافق العامة، والخدمات التي لا يستطيع الأفراد القيام بها .. هذا إلى جانب.

**حميد** (مقاطعًا): والله يا فندي أنا مش فاهم حاجة واصل .. أنا قايم لمراتي .. (هامسًا) أصل مراتي ما تحبنيش أتأخر واصل (يضحك).

**غريب:** طب اتفضل .. اتفضل .. (صارخًا) روح .. روح لها .. روح!

**حميد:** إنت أعصابك فايرة ليه؟

**غريب:** أنا أعصابي فايرة؟

**حميد:** زي مكرم أفندي .. إحنا حناخد إيه م الدنيا .. أول واحدة اتجوزتها كانت زَيكو كده .. والناس زمان قبل ما تعملوا الجمعية كانوا زَيكو كده .. يتخانقوا ويزعقوا .. كل واحد كان عنده حتة أرض ولَّا غنماية يحصل لها حاجة يروح مزعق .. هو الزعيق حيجيب إيه؟! كانت الدنيا تتكركب كل يوم ع الفاضي لحد ما عملوا الجمعية.

**غريب:** دا من زمان قوي؟

**حميد:** أنا فاكر بقى!

**غريب:** من خمسين سنة مثلًا؟

**حميد:** بقولك موش فاكر .. وافتكر ليه؟ (يضحك) مراتي الجديدة ما تحبِّنيش أفتكر حاجة واصل .. أروح الدكان إن كان فيه حاجة تتعمل أعملها .. وإن ما كانش فيه .. طظ.

**غريب** (مقاطعًا): مفهوم مفهوم .. لكن قُولِّي .. إنت بتكسب كام في الشهر؟

**حميد:** باكسب إيه؟

**غريب:** فلوس يعني.

**حميد:** ما اعرفش والله.

**غريب:** ما تعرفش ازاي؟

**حميد:** ما احبِّش اعرف الحاجات دي .. وتفرق إيه يعني؟ اللي باعوزه باخده م الجمعية ع البطاقة وخلاص.

**غريب:** بس الإنسان بيحتاج لحاجات تانية غير الأكل واللبس.

**حميد** (يضحك في خبث): عارف عارف.

**غريب** (يضحك في غيظ): كده كده.
**حميد:** أنا اتأخَّرت عليها ياما .. سلامو عليكم.

(يخرج.)

**غريب** (وحده على المسرح): أنا بدأت أفهم الناس دُوْل .. كلهم تعابين .. الهيصة اللي عاملينها دي .. الموالد والأفراح والليالي الملاح .. كله نصب .. عايزين ياخدوني في دوكه، ويتهرَّبوا م الضرايب .. آل عاملين جمعية آل .. حاطِّين فيها كل حاجة .. آل يعني بيشتركوا في كل حاجة .. وما فيش حد عنده مِلك خاص .. ولَّا ما يكونش لحد مِلك خاص .. يبقى ما فيش على حد ضرايب .. لكن على مين؟ أنا حاورِّيهم .. (يتردد ويفكر) ومع ذلك .. ده زي الحلم اللي طول عمري باحلمه .. الناس كلها قابلاني على إني بك وآخر احترامات .. وحتى .. خوف .. أي والله خوف .. أنا ممكن ابقى حاجة تانية خالص في البلد دي .. حاجة كبيرة قوي لو قدرت أخُش فيهم، والعب اللعبة بتاعتهم وابقى زيهم .. (ينظر إلى الساعة في قلق) بس ازاي؟ الست نبوية هي المشرفة ع الجمعية .. لو قدرت أتفاهم معاها .. افتكرت! دي حتى بعتا لي نشرة النهارده الصبح .. فين؟ أهيه .. (يقرأ من ورقة) حينما يصبح كل شيء ملكًا للجميع؛ يتم القضاء على الاحتكار والاستغلال اللذين ينبعان أساسًا من غريزة التملُّك .. من التركيز على الذات، وشهوة السيطرة على المادة .. وما يتبع ذلك من نزوع للسيطرة على الآخرين (يتأمل) كلام غريب .. (يعود للقراءة) إن مجتمعنا قد تخلَّص نهائيًّا من الفردية، ونزع بكل طاقاته نحو الحب .. (يفكر) الحب .. أنهو حب؟

(تدخل عبلة.)

**عبلة:** حبيبي.
**غريب:** عبلة؟!
**عبلة:** حبيبي.
**غريب:** إيه اللي جابك؟
**عبلة:** إنت مش بتحبني.
**غريب:** إنتي جميلة جدًّا، لكن — اسمعي — فرج زمانه جاي.
**عبلة:** أنا ما لي وما له .. أنا جاية لك انت.

**غريب:** هو مش خطيبك برضه؟
**عبلة:** أنا بحبك (تتقدَّم منه).
**غريب** (يبتعد عنها)**:** عبلة.
**عبلة:** يعني موش عايزني؟ أنا عيبي إيه؟ (تبكي) آه ياني .. آه ياني .. عشان موش من مصر؟ هم بنات مصر أحلى مني؟
**غريب:** ما تعيطيش يا عبلة .. إنتي روعة .. وقمر .. وكويسة خالص!
**عبلة** (تتغير من بكاء إلى فرح مفاجئ)**:** يعني بتحبني .. وحتتجوزني؟
**غريب:** وفرج يا عبلة؟ نودِّيه فين؟ (يصيح في جنون) يا مثبت العقل يا رب .. ممكن أفهم ازاي أتجوزك وانتي مخطوبة؟ ممكن تقولي لي؟!
**عبلة:** ما هو .. بَعد منُّه حاتجوزك على طول.
**غريب:** بَعد منُّه؟ بعد ما يفرج عنك؟
**عبلة:** دا كلَّتها يومين يا سي غريب (في سعادة) يا سي لفندي.
**غريب:** كلها يومين ويسيبك؟
**عبلة:** أمَّال إيه؟ يا سعدك يا هناكي .. يا مرات لفندي .. لفندي الحلو .. لفندي القمر.

(تغازله، وتشاغله.)

**غريب:** اسمعي بس يا عبلة.
**عبلة:** حبيبك ونصيبك.
**غريب:** اسمعي بس أرجوكي .. ممكن تقولي لي؟
**عبلة:** أقولك، وتقوللي يا لفندي.
**غريب:** إيه اللي يخليه يسيبك؟
**عبلة:** ألَّا ليه .. زي الناس .. عادي.
**غريب:** هي الناس بتسيب بعض عادي؟
**عبلة:** أما انت غريب صحيح.
**غريب:** أنا اللي غريب؟ (يضرب كفًّا بكف) إيه اللي يخلِّي راجل يسيب مراته؟ ممكن تقولي لي؟
**عبلة:** الوقت .. (في رزانة) لمَّا وقته يخلص.

**غريب** (ساخرًا): يعني .. مدة الخدمة؟
**عبلة** (لا تفهم): خدمة إيه؟
**غريب:** أقصد يعني .. عايزين تحددوا عقود الجواز بتاعكم بمدة .. بفترة زمنية؟
**عبلة** (لا تفهم): كلامك حلو يا لفندي.
**غريب:** يعني .. لازم تنتهي في وقت محدد؟
**عبلة:** أمَّال تفضل طوَّالي؟!
**غريب:** موش تأبيدة يعني؟
**عبلة:** موش أه؟
**غريب:** موش مهم .. والوقت ده .. قد إيه؟
**عبلة:** حسب وحسب.
**غريب:** يُنص عليه في العقد؟
**عبلة:** كلامك حلو يا لفندي.
**غريب:** وأنا إذا اتجوزتك برضه لازم أسيبك؟
**عبلة:** عايز تسيبني؟ (تبكي) تسيبني ليه؟ أنا عملت حاجة؟
**غريب:** يا عبلة بس اسمعي.
**عبلة:** دانا بحبك خالص.
**غريب** (في لهجة حاسمة): شوفي بقى .. تعيطي ما تعيطيش أنا موش حاتجوزك .. إنتو الظاهر عايزين تلغوا الاحتكار في الجواز برضه .. والظاهر إن الجمعية بتاعتكو حتخرب الدنيا خالص.
**عبلة** (تبكي): مش حتتجوزني .. آه ياني .. آه ياني.
**غريب:** أصله كله كوم وإلغاء الاحتكار في الحاجات دي كوم .. شوفي يا عبلة .. أنا إذا كنت حاتجوزك يبقى على طول .. فاهمة؟ مؤبد .. موش أجوزك من هنا وتروحي تشوفي لك واحد تاني من هنا.
**عبلة:** أبدًا .. أبدًا.
**غريب:** أبدًا ازاي؟ أنا فاهمك كويس.
**عبلة:** أبدًا .. أبدًا.
**غريب:** ماديحنا فيها .. لسه مخطوبة وجاية تخطبيني.
**عبلة:** دانا بحبك.
**غريب:** لا احبِّك ولا تحبيني.

**عبلة:** يا ميلة بختي ياني .. آه ياني آه ياني (تخرج).

**غريب:** متهيَّأ لي عبلة بتخرَّف .. موش ممكن يبقى فيه عقود جواز بالشكل ده .. ولَّا يمكن برضا الطرفين .. برضه موش ممكن .. لازم أدرس الموضوع كويس.

(يدخل مكرم وحده حاملًا حقيبة صغيرة.)

**مكرم:** إنت لسه بتستنَّى يا غريب بك؟

**غريب:** إنتو مش رُحتوا تستعجلوا نبوية هانم؟

**مكرم:** أنا ماليش دعوة يا عم.

**غريب:** إنتو موش قلتوا ...

**مكرم:** قلت لك أنا ماليش دعوة .. فرج اللي قال وفرج اللي راح .. أنا موش من ميت حلاوة .. (مترددًا) ولو اني منها برضه .. عايز أهج وموش قادر .. بس موش قادر ليه؟ ما هي الغنم هجِّت! إنت موش شايف إنها حاجة غريبة برضه إن الغنم تهج؟ متأسف يا غريب بك اني باكلمك في موضوع تاني غير الضرايب.

**غريب:** مفهوم مفهوم.

**مكرم:** ما اعتقدتش إنك فاهم.

**غريب:** حافهم إيه تاني؟

**مكرم:** الموضوع باختصار إن بقى لي أربعة وعشرين ساعة ما نمتش دقيقة واحدة .. من ساعة ما ضاعت الغنم وانا بلف الغيطان والبلد حتة حتة .. أسأل واشَمْشِم هنا وهناك .. عملت المستحيل قبل ما آجي أخدك على هنا عشان تقابل نبوية هانم.

**غريب:** كان باين عليك فعلًا.

**مكرم:** اللي موش باين عليَّ هو — ما تآخذنيش — إحساس غريب بالخوف.

**غريب:** بالخوف بتقول؟

**مكرم:** بالخوف .. بالرهبة .. يمكن بالرعب كمان .. الرعب اللي بييجي م المجهول.

**غريب:** دا انت التعب أثَّر فيك تمام.

**مكرم:** أبدًا .. أنا حاسس إن اللي حصل امبارح ده .. بدل ما يلقي الضوء على اللي ما كنتش فاهمه في ميت حلاوة خلاني أواجه كهف ضلمة غويط .. مليان بالأسرار والألغاز.

**غريب:** كل ده عشان سونة سابتك؟

**مكرم:** أبدًا .. عشان سونة ما سابتنيش! لو كانت سابتني عادي ما كانش بقى فيه لغز.

**غريب:** إنت اللي بقيت لغز.

**مكرم:** اسمعني بس .. سونة دي أنا حبِّيتها .. بنت ذكية وحلوة، وصُحبتها متعة .. كنت عارف ان محروس بيجري وراها صحيح، وانهم بيشتغلوا سوا في الغيط إلى آخره .. لكن دا ما يمنعش إنها استجابت لي .. كنت واثق إنه يومًا ما .. يومًا ما .. في المستقبل البعيد يمكن .. حنتجوز .. ميت حلاوة أصبحت بالنسبة لي حلم جميل، ودا اللي خلَّاني أبطَّل هندسة وزراعة، واتعلم صناعة السلال.

**غريب:** صناعة السلال؟

**مكرم:** آه .. ما لها السلال؟ جمع (سلة) .. يعني (سَبَت)! كنت قررت أشتغل بالسلال .. عيبها إيه؟ قررت أبقى زي أهل ميت حلاوة .. وأعيش هنا زي الناس ما هي عايشة .. يزرعوا ويقلعوا، وياكلوا ويشربوا ويناموا، ويلعبوا تحطيب، ويغنوا ويرقصوا .. حياة هانئة رائعة، زي حياة المعمِّرين بتوع أمريكا الجنوبية .. كان اتهيَّألي إني فهمت ميت حلاوة تمام .. وبعدين ...

(صمت.)

**غريب:** وبعدين سونة اتجوزت محروس!

**مكرم:** لأ .. وبعدين الغنم ضاعت!

**غريب:** ودي علاقتها إيه؟

**مكرم:** زي ما قلت لك .. لقيتني بواجه كهف ضلمة مخيف مش عارف أوله من آخره .. فاهمني؟

**غريب:** مش فاهم حاجة أبدًا.

**مكرم:** يا أخي المسألة واضحة .. الحلم بتاعي كان فردي .. ما كنتش باحلم أكتر من إني أحقق ذاتي .. ولو انه حلم متواضع في الحقيقة .. يعني السلال.

**غريب:** وممكن لسه تحققه.

**مكرم:** مستحيل! الغلطة الكبيرة كانت الغنم.

**غريب:** وانت ما لك بيها بس؟

**مكرم:** هي دي الغلطة .. كان لازم أقول أنا ما لي بيها .. كان لازم أطلَّع نفسي منها، لكن بمجرد ما شغلت نفسي بيها لقيت الكهف بينفتح .. والقوة الغريبة .. كأنها قوة القدر

نفسه .. بتواجهني .. حسيت إن الحلم الصغير بتاعي بقى خيط تافه وسط كابوس كبير .. ما عادش عندي القدرة على إني أرسم طريق حياتي أو حتى أحلم (صمت) والغريب إن المسألة حصلت بسرعة جدًّا .. ضاعت الغنم .. وطارت سونة .. وبدأ الحلم يتشتت.

**غريب:** إنت النهارده شارب حاجة .. موش معقول كلامك ده.

**مكرم:** أنا خايف يا غريب.

**غريب:** موش ده مكرم اللي كان معاي الصبح .. بيطمِّن فيَّ ويهدِّي أعصابي!

**مكرم:** أنا خايف م اللي كنت خايف عليك انت منه .. الضياع!

**غريب:** لا .. ما يهمكش.

**مكرم:** ما قصدش الضياع النفسي اللي درسناه في الجامعة .. الضياع الحقيقي!

**غريب:** زي الغنم مثلًا؟

**مكرم:** زي الغنم!

**غريب:** حلوة دي!

**مكرم:** إيه اللي حلو فيها؟ أنا عارف إنه فيه ناس ضاعت .. كتير .. اتُّهموا في قضية ولَّا حاجة .. وبعدين ضاعوا.

**غريب:** تاهوا يعني؟

**مكرم:** يعني الناس صحيوا الصبح ما لقيوهمش!

**غريب:** بكرة يلاقوهم .. يا راجل روق.

**مكرم:** أنا خايف يا غريب.

(يدخل جماعة يصيحون وعلى رأسهم رجل يقول: «أهه أهه»، والناس تهتف خلفه.)

**الرجل:** أهه .. أهه .. حرامي الغنم.

**الجمهور** (يهتف)**:** إلى الجحيم يا عدو الشعب.

**الرجل** (مشيرًا إلى مكرم)**:** أبو بدلة قديمة .. دهه!

**الجمهور:** يسقط عدو الجمعية .. يسقط عدو الجمعية.

(مكرم يحاول الهرب بحقيبته، والاختباء والاحتماء خلف غريب.)

**مكرم:** عايزين إيه؟ أنا بريء.

**غريب:** إنتو مجانين .. ابعد انت وهوَّا.
**الجمهور:** يسقط عدو الشعب .. يسقط عدو الشعب.

(يُطبِقون عليه.)

**مكرم:** أنا ضعت!
**رجل:** اقتلوه.
**رجل:** ادبحوه.
**رجل:** اسلخوه.

(تدخل الست نبوية – يُصعق الجميع، ويتسمَّرون في أماكنهم، ويهمسون جميعًا – الست .. الست نبوية .. الست.)

**نبوية:** سيبوه.
**مكرم:** يا منجِّي م المهالك يا رب.
**نبوية:** إيه الدوشة دي انت وهوَّا (تنادي على الشرطي) عبد العال .. تعالى خد الاتنين اللي قالوا ادبحوه واسلخوه على برَّه.
**الرجلان:** مش قصدنا يا ست .. ارحمينا يا ست.
**نبوية:** إحنا لغينا القتل والدبح من زمان .. إنتو مش عارفين كده؟
**الرجلان:** إحنا في عرضك يا ست .. الرحمة .. الغفران.
**نبوية:** اللي يخرج عن تقاليد الجمعية ومبادئها مصيره إيه؟
**الجمهور:** يسقط الخونة .. إلى الجحيم يا خونة.
**نبوية:** خُدهم يا عبد العال .. حانحقق معاهم، ونشوف مين من بره ميت حلاوة حط في بقُّهم الكلام الفارغ ده.
**الرجلان** (خارجين مع عبد العال)**:** الرحمة .. الغفران.

(يخرجان مع الشرطي.)

**نبوية:** أنا سمعت عنكم كتير .. إنت مكرم .. والغريب ده؟
**غريب:** أتشرف بإني أقدِّم نفسي .. غريب بك .. مفتش ضرايب.
**نبوية:** أهلًا وسهلًا.

**غريب:** أنا باستنَّى حضرتِك م الصبح.
**نبوية:** أنا عايزاك تيجي لي بيت الشعب ع المغربية .. فرج حيورِّيك السكة.
**مكرم:** وهو كذلك.
**غريب:** أنا كنت باقول.
**نبوية:** أنا حاشوفك يا غريب بك بكرة في مقر الجمعية .. فين فرج؟

(يظهر فرج من وسط الحشود.)

**فرج:** أمرك.
**نبوية:** فرج .. فرَّق الناس، وتعالى معاي.
**فرج:** أمرك.

(فرج يصرف الجمهور، ثم يخرج مع الست.)

(مكرم وغريب وحدهما على المسرح.)

**غريب:** جات سليمة الحمد لله.
**مكرم** (في رعبٍ شديد)**:** أنا خايف يا غريب.
**غريب:** ما خلاص يا مكرم بقى .. جات سليمة بقولك .. خايف من إيه تاني؟!
**مكرم:** م الغنم يا غريب .. م الغنم .. الغنم!

(ستار)

# الفصل الثاني

## المشهد الأول

(منزل ريفي فخم ضخم – كل شيء ينمُّ عن ثراء – مكتب في الوسط، ومكتبة في الخلفية – صور على الجدار لموسيقيين – نصف غرفة مكتب تُرى إلى اليسار – وستائر في كل مكان.)

(وعندما يرتفع الستار نرى فرجًا يحاول إخراج نبيه .. ونبيه يعترض.)

**فرج:** موش أصول اللي بتعمله ده.

**نبيه:** دا بيت الشعب.

**فرج:** ولو .. برضه تستأذن عشان الست نبوية يمكن لسه نايمة.

**نبيه:** لسه نايمة ازاي بس .. بقينا الضُّهرية أهه .. ثم احنا بقى لنا شهر وزيادة ما عقدناش اجتماعات.

**فرج:** تعالى بس معاي نستنَّى بره.

**نبيه:** الرجال موش ممكن يستنُّوا أكتر من كده.

**فرج:** أؤكد لك إن الاجتماع مش حيتأجِّل .. مكرم أفندي أكِّد لي .. وانا عارف إنه صاحي من بدري.

**نبيه:** أنا سمعت إنه من يوم ما اتجوز الست نبوية وسكن هنا والمواعيد اتلخبطت .. شهر زيادة.

**فرج:** يا أخي بس تعالى معاي.

(يشده ويخرجان.)

(بمجرد خروجهما تدخل الست نبوية ومعها مكرم يتهامسان وفي حالة نفسية هادئة وابتسامات.)

**نبوية** (ضاحكة على نكتة همسها لها مكرم.)**:** لا لا لأ .. كفاية.

(مكرم يهمس شيئًا.)

**نبوية** (ضاحكة)**:** إنت حكايتك إيه النهارده؟

(مكرم يهمس ثانيًا.)

**نبوية:** مش معقول .. صحيح؟
**مكرم:** زي ما بقولك.
**نبوية:** وازاي قدرت .. المدة دي كلها؟
**مكرم:** ما كانش فيه حل.
**نبوية:** ما قدرتش تفهم الإنسان .. دا رأيي في الموضوع.
**مكرم:** والله لا الهندسة ولا الزراعة عايزة فهم عميق للإنسان.
**نبوية:** يمكن .. لكن خلاص .. الحمد لله .. (تستدير إليه في شغف) لقينا بعض بعد سنين .. من بعد النهارده ما فيش داعي بقى للقلق والتردد.
**مكرم:** برضه موش قادر أصدق.
**نبوية:** إنت موش شفت كل حاجة؟ أنا موش ورِّيتك بنفسي كل اللي كنت عايز تشوفه واكتر كمان؟
**مكرم:** دا صحيح.
**نبوية:** عايز إيه تاني بقى؟
**مكرم:** موش عارف.
**نبوية:** لا لأ .. إحنا اتفقنا نبطَّل حكاية موش عارف دي.
**مكرم:** طبعًا طبعًا.
**نبوية:** إنت بقيت تعرف كل حاجة.
**مكرم:** طبعًا طبعًا.
**نبوية:** موش بس تعرف .. إنت بقيت في موقف (تضحك) قصدي في مركز مختلف النهارده.

**مكرم:** ما فيهاش كلام.

**نبوية:** خلاص .. يلَّا بِينَا نخلَّص الشغل اللي في إيدينا ده .. (بدلال) إحنا بقى لنا كتير سايبين الشغل.

**مكرم:** فات الزمن زي الأحلام.

**نبوية:** وأجمل م الأحلام ..(تغير لهجتها) نشوف بقى مشروع القناية؟

**مكرم:** ما قلت لك كله جاهز .. الورق أهه، والرسومات، وكل حاجة.

**نبوية:** عظيم.

**مكرم:** العقبة الوحيدة هي التكاليف.

**نبوية:** أنا موش قلت لك تنسى الموضوع ده؟ كام مرة شرحت لك .. المعدات عندنا والأنفار موجودين. والجمعية متكفِّلة بكل حاجة .. (جادة) حاول بقى تنسى الاصطلاحات السخيفة بتاعة الجامعة دي .. «التكاليف» دي كلمة تُستخدم بس لَّما نكون محتاجين لحاجة من برَّه .. لكن إحنا أهه (تُريه ورقة) عندنا كل حاجة في ميت حلاوة.

**مكرم:** أقصد .. موازنة التكاليف والأرباح.

**نبوية** (بدلال)**:** وبرضه تنسى كلمة «الأرباح» دي.

**مكرم:** نسيت.

**نبوية:** يا مكرم يا حبيبي ما دام كل حاجة في إيدينا، وبترجع لنا احنا؛ يبقى خلاص.

**مكرم:** أقصد التوزيع الـ ..

**نبوية:** وكلمة التوزيع كمان .. (تضحك) يظهر بتعرف تشتغل أحسن في أوضة الشغل .. (تغمز له) تعالى معاي.

**مكرم:** وهو كذلك.

(يخرجان بينما يدخل من اليسار فرج ومعه محروس ونبيه وحميد.)

**فرج:** اتفضلوا .. اتفضلوا .. اتفضلوا .. محروس إنتو اخوات مافيش داعي للعزايم .. (يُجلسهم حول مائدة مستديرة) نبيه يمكن ما حضرشي جزء من الأحداث الأخيرة، وعشان كده لازم أوضَّح له إن الهدف من الاجتماع النهارده يختلف عن كل مرة.

**نبيه:** أنا عندي فكرة مبدئية.

**فرج:** ما تآخذنيش يا نبيه يا خويا .. إنت بُعدك عننا الفترة دي كان له أثره في إدراكك للمشاكل اللي بتواجهنا .. وده طبعًا ما يأثَّرش على مركزك كعضو في إدارة الجمعية.

**نبيه** (ينهض معترضًا): أنا أطالب بتفسير للملاحظة الأخيرة دي.

**فرج:** هدِّي نفسك يا نبيه .. أنا موش باهدِّدك.

**نبيه:** التلويح بالتهديد ممكن يوجع أكتر م التهديد.

**محروس:** اسمع يا نبيه يا خويا .. إحنا إذا بدأنا الاجتماع بالشكل ده يبقى موش ممكن حنوصل لحاجة أبدًا.

**حميد** (في لهجة جادة كأنما هو شخص مختلف تمامًا عمَّا رأيناه في الفصل الأول): فرج يقصد إن عدم معرفتك بالمشاكل «لن يؤثر» على مركزك .. واضحة دي؟

**نبيه:** أنا حاسكت نزولًا على رأي الأغلبية فقط .. لكن أرجو تسجيل اعتراضي على التلميح بإمكان التأثير على مركزي.

**فرج:** أنا حاخُش في الموضوع مباشرة .. ميت حلاوة بتواجه — لأول مرة في تاريخها الحديث — وجود أجنبي.

**محروس:** هم اتنين في الحقيقة.

**فرج:** ده المقصود .. المهم إن هذا الوجود بيشكِّل تهديد لنظام حياتنا .. النظام اللي بيستهدف خدمة الناس جميعًا .. ودلوقت حادعو حميد يقدِّم لنا موجز بحثه في الموضوع.

**حميد** (يتنحنح، ويتصنع الأهمية): في الحقيقة أنا راقبت المدعو مكرم والمدعو غريب فترة غير قصيرة .. وفي الحقيقة اشتبكت مع كل منهما في مناقشات طويلة باعتباري مواطنًا عاديًّا.

**محروس:** بلاش النحوي قوي يا حميد عشان خاطري .. أَصلي انت عارف ...

**نبيه:** أنا أعترض على اللهجة التي يتكلم بها حميد .. إذ إنه حين يقول: «كأنني مواطن عادي»؛ يريد في الحقيقة أن يقول أنه مواطن غير عادي .. وهذا يمثِّل انتهاكًا للقانون الأساسي للجمعية الذي ينصُّ على المساواة المطلقة.

**فرج:** نبيه .. أنا حانذرك رسميًّا.

**نبيه:** وأنا أرفض الإنذار.

**فرج:** أنذرك.

**نبيه:** أرفض.

**محروس:** يا خوانَّا كفاية كده أرجوكم .. يا نبيه إحنا كلنا بنحب بعض، وما نقصدش نجرح بعض.

**نبيه:** أنا عضو منتخب من جميع العاملين بصيد الأسماك في البلد، ويؤيِّدني بالإجماع كل مَن له ...

**فرج** (مقاطعًا بحدة)**:** إحنا دلوقت بنتكلم في حاجة أخطر من ده كله .. إحنا قدَّامنا مشكلة ما انتش قادر تدرك أبعادها.

**نبيه:** أنا حاسكت نزولًا على رأي الأغلبية .. لكن لازم أسجل اعتراضي على اتهامي الضمني بالجهل.

**فرج:** أرجوك يا نبيه كفاية .. اتفضل كمِّل يا حميد .. من غير نحوي لو أمكن.

**حميد:** الخلاصة إنه إذا كنا نقدر نسيطر على مكرم .. والست نبوية بتتولَّى العملية دي في الحقيقة .. فمش حنقدر نتخلص من غريب.

**محروس:** نتخلص منه بتقول؟!

**فرج:** الموضوع هو إن وصوله معناه إن السلطات اتنبِّهت .. معناه إن اسمنا ظهر على الخريطة .. معناه إن أهل مصر بَقُم يعرفوا ويسمعوا عن ميت حلاوة .. المسئولين اللي في إيدهم البوليس والجيش.

**نبيه:** أعترض على صياغة العبارة الأخيرة .. إحنا موش مجرمين أو خارجين على القانون عشان نخاف م البوليس والجيش.

**فرج:** اللي أقصده هو إن الهدوء اللي بيسود حياتنا ممكن يتأثر لو عرف الناس في مصر بالتجربة بتاعتنا.

**حميد:** وده اللي بيدعونا للتخلص منه.

**محروس:** ما يضيع.

**فرج:** غلط .. إذا لجأنا للطريقة دي يبقى كأننا بنصب زيت ع النار .. أنا في الحقيقة حضَّرت خطة لمواجهته تتمشَّى مع سياستنا.

**نبيه:** إنت بتتكلم يا فرج كإننا خفافيش غاويين الضلمة .. أنا أعترض بشدة على الإيحاء بهذا.

**فرج:** يعني عايز تعمل إيه؟

**نبيه:** إحنا تجربة رائدة ولازم ترى النور .. لازم الناس كلها تشوف نجاحنا، وتنبهر بيه، وتتعلم منه.

**فرج:** كلام جميل .. بس لازم تعرف إن غريب بك راجل روتيني .. ولا يمكن التفاهم معاه إلا بلغته؛ ولهذا قررت أواجهه بالنظرية السادسة.

**نبيه:** ممكن يعترض .. لو قلنا له إن احنا ما بندفعش ضرايب لأن الدولة لا تؤدي لنا خدمات .. ودا صحيح طبعًا؛ ممكن يقدِّم لنا أوراق تثبت إن الدولة بتؤدي لنا خدمات إحنا عارفين إنها وهمية، وبعدين يطالبنا بالضرايب، وبالطريقة دي يدمر حياتنا.

**حميد:** الحقيقة كلام معقول.

**فرج:** إزاي بس يا حميد؟

**حميد:** غريب من أمهر موظفي الحكومة.

**محروس:** النظرية السادسة عبقرية.

**فرج:** يا اخوانَّا لازم نقرر.

**نبيه:** ونأخذ الأصوات.

**محروس:** وأنا رأيي نواجهه.

**حميد:** رأيي ننتظر شوية.

**فرج:** يبقى انقسمنا .. الأمر بقى للست نبوية .. صوتها هو اللي حيحسم الموضوع.

**نبيه:** إذن نفض الاجتماع للمداولات الجانبية.

(يُدَقُّ صَنْج، وتدخل الست نبوية .. الجميع يلتفُّون حولها في رهبة، ثم تبدأ.)

**نبوية:** مكرم خلَّص مشروع القناية الجديدة .. وتقدروا تعتبروا الموضوع منتهي .. أما بالنسبة لغريب فأنا عايزة أسمع آراءكم.

**فرج:** إحنا اتناقشنا في الموضوع، والنتيجة كانت تمام زي ما سيادتك توقعتي.

**نبوية:** كده كده؟ يبقى لازم نتَّخذ إجراء حاسم، وإلا الموقف حيفلت من إيدينا .. أنا فكَّرت إني أتعامل مع غريب بك بنفسي .. حد معترض؟

(وجوم وتبادل نظرات حذر وقلق.)

أنا عايزاكو تعبَّروا عن آراءكو بحرية تامة .. اتكلموا .. بس لازم تعرفوا إن القضية اللي في إيدينا أكبر من الخلافات الشخصية .. إحنا عايزين وحدة فكرية .. موش عايزين خلافات في الرأي.

(وجوم.)

هيه .. رأيكو إيه؟ اتكلموا بحرية .. إيه رأيك يا نبيه؟ بلغني إنك كنت غايب فترة طويلة .. بقى لك مدة ما حضرتش اجتماعاتنا .. يا ترى إيه السبب؟!

**نبيه:** كل خير يا فندم.
**نبوية:** ورأيك إيه في اقتراح فرج؟
**نبيه:** كل اللي بتصوَّره هو إننا ننتظر شوية .. نسيب غريب لحد ما يتأقلم.
**نبوية:** ورأيك في اقتراح فرج؟
**نبيه:** فرج آراؤه متسرعة.
**نبوية:** يعني لسه معترض على فرج .. يا ترى بينك وبينه إيه؟ إنت عارف إن كلنا متساويين هنا .. كلنا بنتمتع بالمساواة.
**نبيه:** بعضنا بيتمتع بمساواة أكتر من غيره.
**نبوية:** بتحسد فرج على المركز بتاعه؟ ولَّا عايز أملاك تانية؟
**نبيه:** أنا ما عنديش أملاك خالص .. كلها أملاك الجمعية .. الناس.
**نبوية:** إحنا لا يمكن نقبل تصرفك الحاقد الحسود ده.. (تَدقُّ الصَّنْج) أنا اتخذت قرار بقبول استقالتك من عضوية اللجنة.

(يدخل الشرطي عبد العال.)

**نبيه:** أنا ما قدِّمتش استقالة.
**نبوية:** حد منعك؟
**نبيه:** أنا عضو منتخب من جميع العاملين بصيد الأسماك.
**نبوية:** يعني ضامن أصواتهم؟ (تضحك) عبد العال .. (يدخل إبراهيم).
اقرا يا إبراهيم القرار اللي اتخذِته نقابة الصيادين.
**إبراهيم** (يقرأ): بعد النظر في سلوك المدعو نبيه مرزوق نائب المنطقة في الجمعية، وبعد أن ثبت للنقابة تغيُّبه عن البلدة لفترات طويلة، واتصاله بجهات أجنبية، وكذلك حصوله على مساكن متعددة في ميت حلاوة مما يتنافى مع المبادئ الأساسية للجمعية .. فقد قررت اللجنة النقابية فَصْلَه من جميع وظائفه.
**نبيه:** لا يمكن .. مش معقول .. إزاي يا إبراهيم؟
**نبوية:** سمعت بودانك؟
**نبيه:** أنا أنكر كل الاتهامات .. أنا بريء.

(يتقدَّم منه عبد العال وخلفه رجلان.)

عايزين إيه؟ يا نهار موش فايت .. يا ست نبوية أرجوكي .. اسمعي دفاعي .. اديني فرصة.

**نبوية:** والله يا نبيه أنا ما اتخذتش ضدك أي إجراء؛ إنت مشكلتك مع النقابة .. إنت موش تعرف إبراهيم دهه؟

**نبيه:** دا حبيبي .. النائب بتاعي.

**نبوية:** ولَّا حبيبك والنائب بتاعك يقرأ عليك البيان ده؛ موش لازم تصدقه؟!

**نبيه:** أرجوكي.

**نبوية:** إنت مذعور من إيه؟

**نبيه:** أنا حاضيع .. موش عايز أضيع .. أرجوكي.

**نبوية:** أنا عارفة إنك كنت في الخارج في مهمة خاصة بتسويق الأسماك .. لكن ما كنتش أعرف إنك اتصلت بجهات أجنبية!

**نبيه:** ما هو كان لازم أتصل بجهات أجنبية؛ عشان أبيع لهم السمك .. يا ست أرجوكي .. افهميني.

(يتقدَّم الرجال منه، ويحيطون به.)

إنتو حتودُّوني فين؟ يا ست ارحميني .. يا فرج .. يا حميد .. بحق العيش والملح.

**نبوية:** حتحصل انتخابات جديدة في نقابة الصيادين من القاعدة للقمَّة.

**نبيه:** أرجوكي .. أنا حاضيع .. موش عايز أضيع.

(يخرج به الرجلان ووراءهم عبد العال.)

**نبوية:** ودلوقت .. ما دام عندنا الجرأة الكافية لمواجهة مشاكلنا .. وطالما ما فيش خلاف على مبادئنا وسياستنا .. نبدأ الاجتماع .. لعلكم موافقين إني أواجه غريب بنفسي؟ (لا أحد يرد) اللي عايز يعترض يقول بصراحة (صمت) ما فيش اعتراض؟ وهو كذلك .. عايزة آخد رأيكو كمان في إني أنيب واحد بدالي أثناء غيابي .. إيه رأيكم؟

**فرج:** مين؟

**حميد:** مين؟

**محروس:** مين؟

**نبوية:** مكرم .. اتفضل يا مكرم.

(يدخل مكرم – يسود الوجوم، وينزل الستار.)

(ستار)

## المشهد الثاني

(نفس المنظر – عندما يُفتح الستار نرى فرجًا قلقًا يذرِّع المسرح جيئةً وذهابًا، ثم تدخل عبلة في قلق، وتقترب منه في توتر.)

**فرج:** إيه اللي جابِك هنا؟
**عبلة:** ما تزعلش مني يا فرج؟
**فرج:** إيه اللي جابِك بقول؟
**عبلة:** والنبي ما تزعل.
**فرج:** وبعدين معاكي بقى؟ انطقي.
**عبلة:** أَصلي .. عايزة أسيبك.
**فرج:** وهو أنا ماسكك.
**عبلة:** قصدي .. أسيبك خالص.
**فرج:** مع السلامة .. غوري.
**عبلة** (تنهار باكية): أَصلي باحب غريب أفندي.
**فرج:** هيه .. فهمت.
**عبلة:** من يوم ما اكلِّمت معاه وانا عقلي موش في راسي .. موش عارفة أتلم على نفسي .. ما باكلش .. ما بانامش.
**فرج:** عال عال .. لَف عقلك لفندي ده؟ قالك إيه بالظبط؟ قال حياخدك مصر؟ حيسكِّنك في شقة في شبرا؟
**عبلة:** والنبي ما قال حاجة .. أنا اللي .. اللي ..
**فرج:** اللي عينك فارغة.
**عبلة:** ما تزعلشي مني.
**فرج:** اسمعي.

**عبلة:** إنت زعلان مني.
**فرج:** لأ .. أنا موش زعلان .. إنتي بس روحي دلوقت وانا حاحصلك بعد ساعة .. يلَّا يا حبيبتي.

(تسير في قلق متجاهلة كلامه، ثم تجلس على كرسي في أقصى المسرح.)

(في غضب) إنتي سمعتيني ولَّا لأ (تتجاهله؛ فيضطر إلى تغيير لهجته) معلهش .. أنا عارفك عِنَديِّة .. لكن عشان خاطري .. بلاش النهارده أرجوكي روحي وانا حاحصلك على طول.
**عبلة:** توعدني؟
**فرج:** بإيه؟
**عبلة:** بإني إذا روحت دلوقت تفسخ الخطوبة النهارده.
**فرج:** خلاص .. أوعدك .. يلَّا بقى.

(تخرج.)

(تسمع ضجة في الخارج وطبل ومزامير، ويدخل المسرح راقصون وراقصات ومغني ومغنية.)

**المغنية:**

الفرحة اكتملت لينا،
والسعد ملا لياليناا،
الخاين ضاع وعصابته،
والفجر أهو هل علينا.

**الجمهور:** يسقط الخائن .. يسقط الخائن.
**المغني:**

مبروك يا أهل الجمعية،
الخير عم الزراعية،
الخاين ضاع وجماعته،
قرب نفرح بالزينة.

**الجمهور:** يسقط الخائن .. يسقط الخائن.
**المغنية:**

مين يقدر مين يعادينا؟
الدنيا اهي ضحكت لينا؛
طهَّرنا الصيد وشباكه،
واهو كاس الحب ساقينا.

**الجمهور:** عايزين نبوية .. عايزين نبوية.

(تدخل الست نبوية.)

**المغني:**

ارقصي يلَّا انتي وهيه؛
هنُّوا أميرة الجمعية،
الكل حبايب هايمة،
وإيديها كمان في ايدينا.

(تشير نبوية بعد لحظة؛ فيهدأ الجميع.)

**نبوية:** إيه دول يا فرج؟
**فرج:** دول أهل بحري يا ست .. خرجوا تلقائيًّا يعبَّروا عن فرحتهم بضياع الخاين.
**نبوية:** كويس .. ع العموم كفاية بقى .. يلَّا .. أنا ما عنديش وقت، لازم أروح أشوف الشغل ماشي ازاي في القناية .. يلَّا.

(يخرج الجميع ما عدا فرج.)

**نبوية:** إنت بتعمل إيه هنا يا فرج؟
**فرج** (ينظر حوله، فلا يجد أحدًا؛ فينهار)**:** نبوية .. حياتي وعنيَّه .. بتعملي فيَّه كده ليه؟ أنا عمري خنتك؟! أنا عبدك .. ملكك .. خاتم في إيدك .. شيليني من صباع .. وحطِّيني في صباع .. لكن ما تعمليش فيَّ كده.
**نبوية:** إيه اللي جرالك النهارده؟

**فرج:** أنا حياتي كلها بين إيديكي .. عطيتها لك مرة .. ومستعد اديهالك تاني .. نبوية .. اسمعيني أرجوكي؛ أنا بقى لي مدة موش عارف أنا مين .. ماشي أكلِّم نفسي في الحارة .. مشيت ع الترعة زي المجانين أرمي طوبة في المية .. أكلم السمك والشجر والحجر.

**نبوية:** سلامتك يا فرج .. إنت عيان؟

**فرج:** أنا كويس يا نبوية .. عقلي اللي ضاع .. عايز أضيع .. ما عدتش أستحمل.

**نبوية:** إيه بس اللي حصل؟

**فرج:** يعني موش عارفة؟ أنا يوم ما وصلت البلد دي كنت مغمَّض زي مكرم .. كنت كتاب مقفول .. ورقة صفرا بتسأل مين أخذ ده ومين عطى ده .. فتحتي عنيَّه .. وما عدتش عايز أعرف غيرك .. حبك صاغني، وخلقني من جديد.

**نبوية:** قصدك إيه م الكلام ده كله؟

**فرج:** النار يا نبوية .. النار .. أنا عارف إن ده ضد مبادئ الجمعية .. ضد مبادئ الإنسانية نفسها، لكن (في خجل) أنا باغير.

**نبوية:** بتـ أه؟

**فرج:** أنا باعترف.

**نبوية:** بتعترف بإيه؟

**فرج:** أنا غيران من مكرم.

**نبوية:** إنت عارف انت بتقول إيه؟

**فرج:** عارف .. باحكم على نفسي بالضياع .. لكن .. مش قادر .. مش طايق حد يتجوزك غيري.

**نبوية:** إنت عارف معنى الكلام ده كويس؟

**فرج:** عارف .. وموش قادر .. الليل أصبح جحيم .. والنهار طريق طويل بيوصَّلني للجحيم .. كل ساعة بتفوت بتقرب لحظة العذاب .. لحظة الضلمة .. لمَّا الشمس تغيب والاقي نفسي لوحدي وافكر فيكي .. أفكر .. واتصور إنك مع الملعون .. آه .. آه.

**نبوية** (تلين قليلًا)**:** أنا خايفة عليك يا فرج.

**فرج:** أنا انتهيت .. (يبكي).

**نبوية:** بعد كل الزمن ده؟ ليه يا فرج؟ ليه تسمح بإحساس دنيء إنه يتغلِّب عليك؟ إحنا بشر .. بني آدمين .. مش حيوانات .. الاحتكار ده خلِّيناه للمخلوقات الدنيئة ..

الديوك اللي بتقتل بعضها عشان الفراخ .. الديب اللي ما يطيقش حد يقرب من الديبة .. إنت إنسان .. إنت أسمى من ده كله.

**فرج** (يبكي): عارف .. عارف.

**نبوية:** ما فيش إنسان من حقه يمتلك أي إنسان تاني. إزاي تتصور إن من حقك تمتلكني؟

**فرج:** امتلكيني إنتي.

**نبوية:** لا من حقي، ولا من حقك .. ولا من حق أي بشر؛ إحنا يوم ما لغينا الملكية الفردية هنا لغينا آخر صلة بتربطنا بعالم الحيوان .. الكلب هو اللي بيهْتَم بالأرض بتاعته .. أما احنا فوق ده كله .. إحنا بنشترك في كل حاجة .. وعشان كده لغينا الغيرة.

**فرج:** نبوية .. أنا جاي أودعك .. أنا عارف إن ضعفي غير جدير بميت حلاوة .. أنا ماشي .. حاوفَّر عليكي مهمة عقابي.

**نبوية:** بكل أسف موش حتقدر.

**فرج** (مذعورًا): قصدك إيه؟

**نبوية:** إنت أصبحت خطر علينا كلنا.

**فرج:** مانا ماشي.

**نبوية:** مجرد إحساسك بالغيرة دي .. شهوة الامتلاك اللي اتولدت عندك ممكن تدمر الدنيا كلها.

**فرج:** مانا سايبكم.

**نبوية:** برضه موش ممكن .. خروجك واتصالك بالأجانب ممكن يهدد سلام حياتنا، وفي الحالة النفسية اللي انت فيها دي موش ممكن نضمن إنك تقول الكلام الصح، وتشرح الموقف كما يجب أن يكون .. ولهذا قررت ...

**فرج** (يصرخ): أرجوكي .. بلاش.

**نبوية:** قررت إنك تُراقَب.

**فرج:** بحق حبنا القديم .. بحق الماضي.

**نبوية:** الماضي قوة مدمرة .. إحنا قوة مستقبلية.

**فرج** (يركع على ركبتيه): أرجوكي .. أرجوكي.

**نبوية:** ترجوني يعني إيه؟ العواطف الغير منطقية دي سبناها للأطفال .. إنت عارف انت بتلعب بإيه دلوقت؟ بالنار .. إنت عايز تضحي بمصائر الناس عشان عاطفة سخيفة ما لهاش مبرر.

(تَدقُّ الصَّنْج فيدخل رجلان مسلحان.)

**فرج:** حتعملي فيَّا إيه؟
**نبوية:** يوضع تحت المراقبة .. ويوضع كل ما يتصل به تحت المراقبة.

(يخرج مع الرجلين بينما تعود الموسيقى والضجيج، ويدخل الجمهور والراقصات.)

إحنا موش قلنا كفاية؟ (تخطر لها فكرة) ولَّا اسمعوا تعالوا معاي .. حنروح مشوار صغير عند القناية .. نعبَّر تعبير تلقائي عن فرحتنا بحفر القناية الجديدة .. لازم يكون شعورنا تلقائي .. حاقولكم تقولوا إيه بالضبط وتعملوا إيه بالضبط تلقائيًّا.

(يخرج الجميع بينما يدخل مكرم وسونة في تلصُّص.)

**مكرم** (داخلًا ومشيرًا إلى سونة أن تتبعه)**:** تعالي تعالي .. كلهم خرجوا.
**سونة:** أنا خايفة.
**مكرم:** تعالي بس .. لازم أورِّيكي بعض الأوراق.
**سونة:** وانا أفهم في الحاجات دي؟
**مكرم:** تفهمي ونُص .. تعالي.

(يُخرج أوراقًا من درج المكتب، ويريها لسونة.)

**سونة:** يا خبر .. ودا معقول؟
**مكرم:** آدي سر العملية.
**سونة:** واحنا ولا واخدين بالنا.
**مكرم:** المسألة كانت واضحة م الأول.
**سونة:** أما انت شاطر بشكل .. يا سلام يا سي مكرم .. أنا ما باشبعش من قعدتك وكلامك.
**مكرم:** وأنا باحب أكلمك قوي يا سونة.
**سونة:** تكلمني بس؟
**مكرم:** أكلمك وامشي معاكي وكل حاجة.
**سونة:** ما عُدْتِش غاويني يا سي مكرم؟!

**مكرم:** أصل فيه حاجة شاغلاني قوي.

**سونة** (بدلال)**:** عارفة.

**مكرم:** عايز أقول لك عليها بس خايف.

**سونة:** خايف من إيه؟

**مكرم:** موش عارف حتقولي عليا إيه؟

**سونة:** حاقول إيه يعني؟

**مكرم:** إنتي بتقولي إنتي عارفاها .. مش كده؟

**سونة:** قوللي يا سي مكرم .. والنبي.

**مكرم:** الغنم راحت فين؟

**سونة:** الغنم؟!

**مكرم:** تلات تلاف أربع تلاف راس غنم راحوا فين؟ هه؟ اسمعيني كويس يا سونة .. أنا منكو وعليكو صحيح .. وباحبكو موت وكل حاجة .. بس فيه حاجات .. أقول إيه؟ إزاي كل الغنم دي قدرت تهرب م البلد كدهه؟!

**سونة:** تهرب ازاي؟

**مكرم:** أمَّال راحت فين؟ ما هي لازم هربت .. بس برضه على رأيك تهرب ازاي؟ وتهرب من إيه؟ ما هي عايشة مبسوطة بتاكل وتشرب وبتنام، وبتخلف وترضع وتربِّي .. بتزيد وبتنتشر .. بتغني وتنبسط .. المراعي قدامها، والمية حواليها، والسما صافية فوقيها .. تهرب ليه؟!

ما لهاش صاحب يسأل عليها؟

**سونة:** دي غنم الجمعية يا سي مكرم.

**مكرم:** ولَّا الغنم دي بتاعة الجمعية .. ليه الجمعية ما بتدوَّرش عليها؟ ليه ما حدش بيبلغ السلطات؟ يمكن عندهم طريقة .. إذا كانت اتسرقت يلاقوها .. إذا كانت غرقت يقولوا لنا .. بس نعرف إيه اللي حصل.

**سونة:** بس ده مش ممكن.

**مكرم:** ليه؟

(تَسمع أصوات في الخارج.)

**سونة:** حاسب يا سي مكرم.

**مكرم:** فيه إيه؟
**سونة:** موش عارفة .. سامعة حِس.

(يُنصتان – يسمع صوت نبوية وغريب في ضحك عالٍ.)

**مكرم:** دي نبوية .. وأظن غريب معاها .. تعالي نستخبَّى هنا في الأوضة دي .. خلينا نسمع حيقولوا إيه.

(يدخلان في الحاجز على المسرح – نحن نراهما بينما لا يستطيع غريب ونبوية رؤيتَهما.)

**نبوية** (داخلة): زي ما بقولك.
**غريب:** يعني عايزة تقولي إن الأرض دي موش موجودة خالص ع الخريطة؟
**نبوية:** موش بالضبط .. لكن اللي موجود منها عُشر اللي موجود في الحقيقة .. إحنا اللي عملناها .. بمجهودنا وجهد أولادنا .. وطبعًا فيه مناطق لسه مرسومة ع الخريطة كجزء من النيل .. ولذلك تلاقي إن الطبيعة كمان مسئولة عن اللي حصل.
**غريب:** شيء مذهل.
**نبوية:** أبدًا .. من كام سنة كده لاحظنا إن النيل بدأ يبعد ويدِّينا أرض جديدة .. قمنا أضفناها لميت حلاوة.
**غريب:** من أمتع ما يمكن.
**نبوية:** حيث كده نشوف إذا كنا نقدر نسوِّي عمليات الضرايب المتأخرة دي .. (تضحك) إذا كان فيه ضرايب مستحقة علينا صحيح.
**غريب:** المسألة فيها نظر .. وممكن نتفاهم (ينظر في الساعة).
**نبوية:** مستعجل على إيه؟ آه .. لازم عبلة بتستنَّاك .. مبروك.
**غريب:** مش قادر أصبر.
**نبوية:** اتحكِّم في نفسك شوية امَّال .. عيب كده يا غريب بك .. إنت ضيف علينا .. ولازم تعرف إن احنا ضد الإثارة الزايدة .. زي ما انت شايف .. الناس مسالمين وهاديين وطيبين .. بيؤدوا أشغالهم في هدوء وأمانة .. عمرهم ما يشغلوا نفسهم بشئون الجمعية.
**غريب:** شيء مذهل.
**نبوية:** إيه هو اللي مذهل؟ حيلاقوا منين لجنة عليا تهتم بشئونهم بالصورة دي؟ توفر لهم الأكل مجانًا تقريبًا .. واللبس .. والأفراح .. والمغنى.

**غريب:** اهتمامهم بالفن ملحوظ.

**نبوية:** دول دايمًا يعبَّروا عن أحاسيسهم بصورة تلقائية؛ وعشان كده ما عندناش عواطف إنسانية معقدة .. لا غيرة، ولا كراهية، ولا خوف.

**غريب:** بس ده ضد الطبيعة البشرية.

**نبوية:** بالعكس .. دا هو ده اللي بيميِّز الإنسان .. أنا مثلًا لا يمكن أغير ولا أتهز من المشاعر دي .. وموش ممكن أكره أبدًا .. ولا أعرف الحنق والغيرة.

**غريب:** أنا لازم مختلف.

**نبوية:** اسمع كلامي .. أنا موش اتجوزت مكرم؟

**غريب:** فيه إشاعات.

**نبوية:** لا .. دا صحيح.

**غريب:** أنا متصوِّر إنه ...

**نبوية:** وعارف إن مكرم كان معجب بسونة.

**غريب:** أهي دي بقى إشاعة.

**نبوية:** شوف اسمع أما أقولك .. أنا ما حبِّش حد يعارضني .. حتى ولو كان عايز يبسطني (بتهديد) إنت غاوي معارضة من يومك.

**غريب:** يا نبوية هانم.

**نبوية:** اتفضل .. عايز تشوف بعينك؟ (تفتح باب الحاجز على المسرح) تعالى يا مكرم .. تعالي يا سونة .. اتفضل .. كانوا بيعملوا إيه جُوَّه؟ (في حماس وعصبية) جاوبني .. قول لي .. اتكلم .. كانوا بيذاكروا؟ بيشتغلوا؟ دا مكرم اللي كان مفروض يكون مع الأنفار عند القنابة .. ودي سونة اللي رسميًّا متجوزة محروس .. لكن أنا موش غيرانة .. إطلاقًا .. بالعكس .. المشاعر دي ماتت عندي تمامًا. (في هدوء) اتفضل يا غريب بك .. أنا النموذج الحي لِمَا يجب أن يكون عليه الإنسان .. الإنسان اللي لازم يسمو على كل ما يربطه بعالم الإثارة النابعة من الامتلاك .. أنا لا أمتلك مكرم ولا مكرم يمتلكني .. (كريشندو إلى النهاية) حبي له أعمق من الإثارة السطحية .. أعمق من الغيرة .. من الحنق .. من الانتقام .. وكذلك حبي لسونة .. لن تؤثر علاقتها مع جوزي على حبي لها .. أنا باحِبه .. وباحبَّها .. باحبَّها .. باحبَّها.

(ستار)

## المشهد الثالث

(نفس المنظر.)

(يدخل مكرم حاملًا حقيبة ومتجهًا إلى الخارج في عزم، وخلفه نبوية تحاول أن تستبقيه.)

**نبوية:** أرجوك يا مكرم .. خليك لبَعد الاجتماع.
**مكرم:** مستحيل .. حلاقي الغنم النهارده يعني حلاقيها النهارده.
**نبوية:** غنم إيه بس يا مكرم؟
**مكرم:** حلوة غنم إيه؟ الغنم .. التلات أربع تلاف راس اللي هجِّت .. الغنم يا نبوية.
**نبوية:** حبيبي.
**مكرم:** الغنم يا حبيبتي.
**نبوية:** بحق حبنا.
**مكرم:** بحق الغنم.
**نبوية:** إنت اتجننت؟
**مكرم:** يمكن .. لكن حلاقيها النهارده .. أنا قررت أحط إيدي على السر .. الجمعية مليانة ناس مش أُمَنَا — زي ما بنقول في مصر — ناس بيستغلُّوا لايحة الجمعية والحلم اللي اتحوِّل لكابوس.
**نبوية** (في جدية مرعبة)**:** ما فيش حد عندنا مش أمين.
**مكرم:** والغنم؟
**نبوية** (تلين ثانيًا)**:** أرجوك يا مكرم .. إحنا لازم نخلَّص الاجتماع بسرعة؛ لإن غريب اتجوز عبلة ودخل الجمعية، وبدأ يتصل بناس كتير في ميت حلاوة.
**مكرم:** ما انتو حتعدلوا اللايحة عشان تسمحوا له بالدخول.
**نبوية:** أنا عايزاك جنبي يا مكرم .. أنا باحبك.
**مكرم:** يا نبوية المسألة ما تحتملش التأجيل.
**نبوية:** مكرم .. أرجوك.
**مكرم:** نبوية .. ما تقلقيش عليَّ.
**نبوية:** حتغيب؟
**مكرم:** سلامو عليكم.

**نبوية** (وحدها على المسرح): السرطان اللي بيدمر خلايا الحياة .. البقعة السودة اللي بتكبر وتكبر وتكبر .. وما لهاش ظلال .. لو كان لها ظل كنت عرفت إنها حقيقية .. لو كان وراها نور كنت عرفت إنها ظل .. (تنتبه كأنها وجدت الفكرة الصائبة) تمام .. الخلية الغريبة .. الجسم الغريب وسط خلايا البدن واللي مفروض يتحارب .. مفروض نحاربه .. نلفظه .. نرفضه .. ومع ذلك بنحبه، بنستسلم له .. بنسمح له يدمرنا .. خلية ورا خلية .. (منهارة) موش ممكن أنكر .. ممكن امثِّل على الناس، على التاريخ، وعلى عقلي حتى .. لكن الحقيقة بتوجع .. جُوَّايا هنا، في كل جزء من أجزاء جسمي بتكوي زي النار .. مكرم بقى جزء مني .. عايش جُوَّاي .. مرض .. دمار .. لكن ممتع وجميل .. أنا مندهشة ازاي قدرت أعيش السنين دي كلها من غير ما أحس الإحساس ده .. من غير ما أعرف القوة الغريبة اللي جُوَّاي دي .. الكائن الجديد .. لا .. القديم .. اللي كان دايمًا موجود وغريب عليَّ .. أنا لازم أسأل نفسي النهارده أنا إيه .. موش أنا مين؟ واحنا كلنا .. إحنا إيه؟ موش احنا مين.

(يدخل إبراهيم.)

**إبراهيم:** ست نبوية .. أرجوكي.
**نبوية:** خير .. يا ابراهيم.
**إبراهيم:** الرجالة بره موش قادرين يستنُّوا.
**نبوية:** خليهم يتفضلوا.
**إبراهيم:** سيادتك مرهقة شوية؟
**نبوية:** لا أبدًا .. خليهم يتفضلوا.
**إبراهيم:** أنا قلت نؤجل الاجتماع لغاية ما سي مكرم يرجع، لكن الرجالة بقى .. كلهم مصممين.
**نبوية** (تفقد أعصابها للحظة): عايزين الاجتماع من غير مكرم؟ من غير الروح اللي بتدِّينا الحياة .. (صارخة) هم عارفين مكرم يعني إيه؟ هم فاهمين القيمة اللي قدامهم .. الحياة اللي خلقها؟

(صمت متوتر تعود فيه إلى الهدوء.)

ومع ذلك .. خليهم يتفضلوا .. قل لهم يتفضلوا.

(يخرج إبراهيم.)

(وحدها) أنا ليه عملت كده؟ إزاي أفقد أعصابي بالصورة دي؟ وازاي حاواجه ميت حلاوة بعد كده؟ (تجفف دموعها) أنا لازم اقف على رجلي تاني .. وأقوى من الأول .. اللي جُوَّاي ده شأني أنا .. شأن فرد .. إنسان عادي .. ذات محدودة صغيرة، لكن ميت حلاوة .. الجمعية .. العمل اللي لازم نؤديه.

(تَدقُّ الصَّنْج؛ فيدخل حارسان.)

قولوا للرجالة يتفضلوا .. الاجتماع حيبدأ حالًا.

(تصلح من هندامها، وتعدل خصلة من شعرها، وتنظر إلى المرآة في يدها بينما يدخل حميد ومحروس وإبراهيم وزقزوق.)

**حميد:** صباح الخير يا ست نبوية .. اتفضلوا يا رجالة .. اسمحي لي أقدِّم لك ...
**نبوية** (في عصبية)**:** عارفاهم كلهم.
**حميد:** أقصد زقزوق.
**نبوية:** زقزوق ناصف .. عارفاه .. بتاع الغزل والنسيج.
**حميد:** أصله دلوقت هو الممثل الجديد للنقابة بعد إعادة الانتخابات.
**نبوية** (نفس العصبية)**:** عارفة قلت لك.
**إبراهيم:** وأنا حاخد مكان فرج.
**نبوية** (نفس العصبية)**:** الناس انتخبتك؟
**إبراهيم:** بالإجماع.
**نبوية:** ما فيش حد معارض؟
**إبراهيم:** أقليَّة مضلِّلة.
**نبوية:** قصدك إيه أقليَّة؟ مين دُوْل؟ إزاي نسمح بكده؟
**إبراهيم** (مقدِّمًا ورقة)**:** أسماؤهم هنا.
**نبوية:** حميد .. شوف دُوْل وقول لنا إيه رأيك؟ لازم نكون حاسمين في مواجهة المعارضة .. الاجتماع بتاعنا يمكن غير قانوني عشان مكرم موش موجود .. لكن لازم نتخذ الإجراء المناسب .. (في قلق) هو مكرم غاب ليه؟ راح فين بالضبط؟ (إلى محروس) إنت مراتك فين يا محروس؟

**محروس:** سونة؟!

**نبوية:** ما انتش عارف مراتك فين؟

**محروس:** لازم في الغيط.

**نبوية:** لازم يعني إيه؟ ما تعرفش مراتك فين؟ (يعلو صوتها، ويتهدَّج) مراتك بتاعتك .. ملكك .. إزاي تسمح لها ... (تضع يدها على رأسها، وتبدو عليها أمارات الإعياء الشديد).

**حميد:** سلامتك يا نبوية.

**نبوية:** لا مؤاخذة .. استمروا انتو .. أنا حابقى كويسة.

(تخرج.)

**حميد:** الست تعبانة شوية.

**زقزوق** (فجأة): لكل إنسان دوره الذي يؤديه بأمانة، وهو ينخرط في المجتمع الكبير الذي يضم الجماعات المتباينة.

**محروس:** إنت بتقول إيه؟

**زقزوق:** دي حتة من لايحة الجمعية.

**حميد:** وده وقته برضه؟

**زقزوق:** أنا حافظ اللايحة صَم.

**محروس:** برافو عليك.

**زقزوق:** ممكن أدلي بدلوي في الدلاء؟

**حميد:** عايز تقول إيه؟

**زقزوق:** اسمحوا لي يا إخواني إني أتكلم بصفتي عضو، وأرجو أن تنبهروا لسعة علمي واطلاعي .. أنا موش شوية زي ما انتو عارفين .. صحيح أنا عامل نسيج بسيط .. ولكن بجدي واجتهادي وحفظي للائحة وصلت للعضوية، وبصراحة الدنيا موش سايعاني من الفرحة.

**محروس:** خُش في الموضوع.

**زقزوق:** أنا رأيي ذو شقين .. (متلذذًا) عظيمة كلمة شقين دي.

**محروس:** أرجوك يا زقزوق .. أنا موش فاهم حاجة أبدًا.

**زقزوق:** أولًا .. لا بد من القضاء على الأغراب اللي هُمَّ سبب المشكلة.

**حميد:** ما عَدش عندنا أغراب .. مكرم أفندي اتجوز الست نبوية، وبقى واحد مننا، وغريب بك اتجوز عبلة، وأصبح عضو عامل.

**زقزوق:** أمَّال احنا مجتمعين ليه؟

**حميد:** عشان نعدِّل اللايحة.

**زقزوق:** لا يمكن تعديل اللائحة .. وإذا كانت الست نبوية تصر على هذا فسوف أعارضها .. بقى أنا بعد ما حفظتها تيجوا تعدِّلوها؟ لا يمكن .. أنا حاقول لغريب بك .. أنا بصراحة اتناقشت معاه، وانبهرت بعلمه زي ما انبهر هو بعلمي .. وأعتقد أن إبراهيم بيشاركني هذا الرأي.

**إبراهيم:** تمام .. تمام.

**زقزوق:** أنا ملاحظ إن الست نبوية سمحت لنفسها بعواطف دنيئة زي الغرام والغيرة والغيظ .. (بتلذذ) كلمات تبدأ بحرف الغين.

**محروس:** قصدك إيه؟

**زقزوق:** قصدي إنها عواطف دون مستوى الجمعية، وضد اللايحة .. إزاي نسمح بإن ده يحصل في ميت حلاوة؟

**حميد:** إنت بتتكلم كلام مالوش معنى.

**زقزوق:** بالعكس .. ده من اللايحة رأسًا.

(يدخل غريب لاهثًا.)

**غريب:** لا مؤاخذة يا رجالة .. ممكن إبراهيم شوية؟

**حميد:** ممكن إيه؟

**غريب:** ييجي معاي للدكتور .. أصل عبلة عيانة خالص .. نقلتها لفوق م الباب الورَّاني.

**حميد:** اتفضل.

(يخرج إبراهيم وغريب.)

**زقزوق:** العلاج المجاني من حق الجميع في المجتمع الذي تسوده العدالة والرفاهية.

**حميد:** إنت يا بني اسطوانة؟

**زقزوق:** يعني إيه؟

**حميد:** يعني بتلف تسمَّع كلام ما انتش فاهمه .. إنت عارف اللي بيحصل في ميت حلاوة النهارده؟ القلق اللي احنا شايفينه على وش الناس .. الكلام اللي بدءوا يرددوه من غير ما يفهموه .. الضرايب، والملكية، والفلوس، والحاجات دي كلها .. حاولنا سنين نجنِّبهم الكلام الكبير اللي ما منُّوش فايدة .. لكن بكل أسف .. إنت وأمثالك حيخربوها.

**زقزوق:** أنا وأمثالي؟

**حميد:** إنت وأمثالك من أنصاف المثقفين.

**زقزوق:** أنا نصف مثقف؟ نصف؟

**حميد:** فيه حاجة حصلت يا خوانا موش ممكن تنتهي على خير .. العواطف اللي انت بتتكلم عنها كان ممكن القضاء عليها لو ما كانتش الناس اتعلمت الكلمات الكبيرة بتاعتك دي.

**زقزوق:** الكلمات دي روح الجمعية.

**حميد:** وهلاكها .. حتموتها!

**محروس:** عبلة؟ بعد الشر.

**حميد:** عبلة إيه يا محروس؟ مرض عبلة ده تمثيل في تمثيل.

**زقزوق:** كدب يعني؟

**حميد:** تمثيل .. عبلة عايزة تأكِّد لنفسها مكان في البيت ده.

**زقزوق:** من حقها .. دا بيت الشعب .. بيت الجمعية.

**حميد:** وهي من الشعب .. مجرد ما دخلت واستقرِّت خلاص .. مستحيل حد يقدر يطلَّعها .. وغريب عارف إنه لو استقر هنا معاها، ومع الست نبوية ومكرم؛ حييجي اليوم اللي يبلع فيه الجمعية .. الراجل ده تعلب .. بقى انتو فاكرين إنه مقتنع إنه مافيش علينا ضرايب؟ غريب فهم الفولة من أول يوم.

**زقزوق:** قصدك إيه بالفولة؟

**حميد:** حاجات فوق عقلك .. لإنها موش في كتاب .. دلوقت يرجع إبراهيم وغريب والست نبوية يطمنونا عليها .. تأكَّدوا من كده .. أنا عايش طول عمري في ميت حلاوة، وفاهم الناس كويس .. غريب موش بس عايز يخُش معانا .. دا عايز يستقر هنا.

(يدخل غريب وإبراهيم.)

**غريب:** الحمد لله .. الأزمة فاتت.

**إبراهيم:** أنقذناها.

**محروس:** جبتوا الدكتور؟

**إبراهيم:** ما كانش فيه لزوم للدكتور.

**حميد:** يعني بقت كويسة، وتقدر تروَّح؟

**غريب:** لأ لأ لأ .. موش ممكن ننقلها دلوقت .. عايزالها وقت طويل في السرير .. في أوضتنا فوق.

**حميد:** هي دخلت م الباب الورَّاني، وسكنت في أوضتكم؟

**زقزوق:** السرعة الفائقة التي تماثلت بها للشفاء تؤكد صدق حدسنا، وتدعونا إلى تأمُّل العلاقات المتكافئة في المجتمع المثالي.

**حميد:** والله انت فلقتني يا زقزوق.

**زقزوق:** أحتج.

**حميد:** والست فين؟

**غريب:** جاية على طول.

**زقزوق:** أفلا يدعونا هذا إلى احتفال تلقائي من جانب الجماهير؟ أنا اتخذت قرارًا أرجوكم توافقوني عليه .. بكرة نخلِّيه عطلة رسمية احتفالًا بشفاء السيدة عبلة.

(يدخل مكرم.)

**مكرم:** فين نبوية؟

**إبراهيم:** حانده لها حالًا.

(يخرج إبراهيم.)

**مكرم:** ما خلَّصتوش الاجتماع؟ كويس .. أنا عايز أقول لكم حاجة مهمة جدًّا .. أنا لفِّيت على رجلي لمَّا دابوا .. ما خلِّيتش منطقة إلا زرتها .. ما خلِّتش بني آدم إلا وكلِّمته .. كنت بادوَّر على حاجة عكَّرت عليَّ حياتي هنا، وفي كل مكان.

**محروس:** هيه .. سبع ولَّا ضبع؟

(تدخل نبوية ووراءها غريب.)

**مكرم:** نبوية .. حبيبتي.

**نبوية:** اتأخرت يا مكرم.
**مكرم:** وحشتيني قوي.
**نبوية:** قلقت عليك خالص.
**مكرم:** نبوية .. اسمعيني كويس.

(زقزوق ينحاز هو وإبراهيم إلى جانب غريب بينما يدخل الرجال بالتدريج، ويقفون خلفهم.)

وانتو كمان .. اسمعوني كويس .. أنا لقيت الغنم.
**غريب:** مجنون.
**نبوية** (تبكي): لا يا مكرم لا .. ما تقولش كده.
**غريب:** مكرم اتجنن.

(الرجال يرددون: اتجنن .. اتجنن.)

**مكرم** (صائحًا): لقيتها بقول لكم .. فهمت الفولة .. عرفت اللي فيها.
**غريب:** مكرم اتجنن .. ولازم حسب اللايحة يوضع في الحجز.
**نبوية:** مستحيل .. مكرم مش ممكن يتحجز.
**غريب:** اللايحة صريحة.
**نبوية:** مكرم حبيبي .. مستحيل .. مستحيل.
**غريب:** لازم نطبَّق اللايحة .. وبصفتي عضو عامل لازم أصر على تطبيق لايحة الجمعية بحذافيرها.
**نبوية:** مش على مكرم .. أنا لا يمكن أسمح.
**غريب:** وفي نفس الوقت .. وإزاء العواطف السخيفة.
**زقزوق:** العواطف الدنيئة.
**غريب:** العواطف غير المنطقية التي تملَّكت الست نبوية .. وفي الحقيقة أثَّرت على إدارتها للجمعية لفترة طويلة .. وأدَّت إلى التخبُّط الشديد.

(وجوم.)

ليه فرج ما يضيعش؟ ليه يوضع فقط تحت المراقبة؟ بمجرد انتهاكه للايحة الجمعية؛ كان لازم يضيع .. لكن .. يا إخواني نرى أنه وُضع فقط تحت المراقبة .. ليه؟ لأن العواطف دي نفسها تدخَّلت.

**الجمهور:** يعيش غريب بك.

**غريب:** كنت باقول إنه إزاء العواطف اللي بتفسد نظام الجمعية .. وسوء الإدارة المتفشِّي في كل مكان .. فأنا أقترح عزلها.

**زقزوق:** وأنا أؤيد الاقتراح.

**إبراهيم:** غريب بك أقدر واحد على الإدارة.

**الجمهور:** يعيش غريب بك .. يعيش غريب بك.

(تلتصق نبوية بمكرم وهو يجفف دموعها.)

**غريب:** وإزاء هذا التحول الجميل .. سنعقد اجتماعًا في بيت الشعب غدًا للنظر في شئون الجمعية، وتطبيق اللائحة تطبيقًا حرفيًّا.

**زقزوق** (يصفق)**:** برافو .. برافو.

**إبراهيم:** يعيش غريب بك .. يعيش غريب بك.

**الجمهور:** يعيش .. يعيش.

**مكرم** (يوجه الكلام إلى الأشخاص واحدًا واحدًا)**:** حتعمل اجتماع يا غريب بك؟ وانتي عزلوكي يا نبوية؟ لسه بتحفظ في اللايحة يا زقزوق؟ وانت بتسقف ليه يا ابراهيم؟ وانت محتاس يا حميد؟ اعملوا اجتماع .. اعزلوا .. ضيَّعوا .. لكن أنا لقيت الغنم .. سامعينِّي؟ لقيت الغنم.

(ستار)

# الفصل الثالث

## المشهد الأول

(نفس المنظر في الفصل الأول – الساحة – كل شيء لم يتغير إلا أن رفوف الجمعية التي كانت مزدحمة بالسلع؛ أصبحت فارغة، والسلع المكدسة خارج البوابة لم تعد موجودة – سونة تمسك بقفص في يدها، وتحافظ عليه وهي تسير إلى جوار محروس، ثم تضع القفص فجأةً وتستوقف محروس، وتشدُّه من ذراعه.)

**سونة:** أنا رايحة له يا محروس.

**محروس:** إحنا موش انتهينا م الموضوع ده خلاص.

**سونة:** غيَّرت رأيي.

**محروس:** والله ذنبك على جنبك .. إنتي عارفة القواعد الجديدة اللي حطها غريب بك.

**سونة:** ولو.

**محروس:** ولو يعني إيه؟ عايزة تتحبسي انتي كمان في أوضة ضلمة .. ويدخَّلوا لك الأكل من طاقة في الباب؟!

**سونة:** وانت يهون عليك مكرم أفندي يتحبس الحبسة دي .. شوف كام شهر دلوقت؟

**محروس:** موش هو اللي اتجنن؟ يعني كان حد غصبه يقول الغنم وموش الغنم؟

**سونة:** مكرم ما اتجنِّنش يا محروس .. دول تاهمينه ظلم.

**محروس** (مصعوقًا)**:** معنته إيه الكلام ده.

**سونة:** كلام إيه؟ أنا قلت حاجة؟

**محروس:** قلتي تاهمينه، وقلتي ظلم .. حصل ولَّا لأ؟

**سونة:** آني؟

**محروس:** أمَّال آني؟

**سونة:** يمكن موش واخدة بالي.

**محروس:** لا يا شيخة؟ هو احنا عندنا هنا فيه ظلم؟ إنتي موش عارفة إن احنا مجتمع العدل؟

**سونة:** قوي قوي.

**محروس:** وما فيش حد حدانا يتظلم واصل؟

**سونة:** قوي قوي.

**محروس:** أمَّال إيه ظلم دي .. وتاهمينه كمان؟!

**سونة:** ما اعرفش.

**محروس:** جبتي الكلام ده منين؟ مين اللي علِّمهولك؟

**سونة:** علِّمني إيه؟

**محروس:** مين اللي حط في بُقك الكلام الغريب ده؟ هه؟

**سونة:** إنت عايز تقول إيه بالظبط؟

**محروس:** الكلام اللي بتقوليه ده كلام خطير.

**سونة** (في رباطة جأش وحسم)**:** ولازم أعاقب عليه؟ ولازم اتسجن زي مكرم .. ولَّا يمكن يتحكم عليَّ بالضياع؟

**محروس:** أنا ما قلتش كده أبدًا.

**سونة:** لأ .. قلته .. في لحظة واحدة حسِّيت إنك مستعد ترمي مراتك حبيبتك .. اللي بتحبها وبتحبك .. عشان شوية كلام مالوش معنى.

**محروس** (مذهولًا)**:** بتحبني؟ بتحبيني يا سونة؟

**سونة:** كل ده وما انتش عارف؟

**محروس:** ومكرم؟

**سونة:** مكرم إيه يا محروس؟ مكرم ده أخ واكتر من أخ .. أنا حبِّيته زي ما الناس كلها ما بتحبه .. وزي ما بيحب الناس .. وزي ما انت نفسك بتحبه.

**محروس:** مكرم مجنون.

**سونة:** مكرم أول العاقلين .. إنت صدقت صحيح إنه مجنون؟ (تحتضنه في حنان) يا محروس يا حبيبي .. إنت خايف من غريب بك؟ خايف من مجلس الإدارة الهزؤ اللي انت عضو فيه؟ خايف تضيع؟

**محروس:** أنا .. بصراحة ما عدتش فاهم حاجة أبدًا.

**سونة:** بالعكس .. إنت بدأت تفهم كل حاجة.

**محروس:** موش عارف أصدق مين، وأكذِّب مين؟ طول عمري وانا مصدق اللايحة والنظام اللي عملته الست نبوية .. ودلوقت لَّما الست نبوية مشيت .. لَّما وِقْفِتْ جنب مكرم ضد اللايحة؛ موش عارف .. يا ريتني ما كنت عضو في مجلس الإدارة .. كنت عايش في حالي ومبسوط!

**سونة:** ما حدش ممكن يعيش في حاله زي ما انت فاكر .. لا أنا ولا انت ولا أي حد .. إزاي تتصور إن ده ممكن وكل يوم ناس بتضيع، وحاجات بتضيع، وغنم بتضيع؟!

**محروس:** هي حاجة غريبة صحيح إن تلات أربع تلاف راس غنم تضيع.

**سونة:** إنت نسيت نبيه؟ نسيت فرج؟ حبيبك؟

**محروس:** فرج؟

**سونة:** فرج .. راح فين؟ ذنبه إيه؟ حد عرف عمل إيه؟

**محروس:** بيقولوا إنه بيغير.

**سونة:** وانت موش بتغير؟

**محروس:** أنا موش ممكن أغير.

**سونة:** لأ بتغير.

**محروس:** ما بغيرش.

**سونة:** موش بتغير على مراتك؟ أم محروس الصغير؟

**محروس** (مصعوقًا)**:** هو انتي؟ قصدي .. صحيح والنبي؟

**سونة** (تحتضنه)**:** إنت ما كنتش تعرف؟

**محروس** (في سعادةٍ غامرة)**:** ما قلتِليش ليه قبل كده؟

**سونة:** يا حبيبي.

**محروس:** يبقى باغير.

**سونة:** وتبقى بتحب.

**محروس:** أعترف.

**سونة:** عارف أنا أول ما عرفت .. قررت إني أهج .. أسيب ميت حلاوة واعيش في حتة تانية.

**محروس:** عايزة تسيبيني يا سونة؟

**سونة:** مستحيل .. أنا لا يمكن أسيبك.

**محروس:** حتروحي مصر؟

**سونة:** مش حاروح أي حتة .. أنا بس فكرت أهج .. وبعدين لقيت إن عليَّ واجب لميت حلاوة .. كنت خايفة محروس ابني يطلع واحد م اللي بيسقفوا ويطبلوا ويزمروا.

**محروس:** إنتي ذكية قوي يا سونة.

(يخرج رجلان من مبنى الجمعية، ويصرخان في محروس.)

**رجل ١:** هي الرفوف فاضية ليه؟

**رجل ٢:** ما فيش حتة قماش الواحد يفصَّلها؟

**رجل ١:** حتة دَبَلان على قد الحال؟

**رجل ٢:** ولا دمُّور يا أخي؟

**رجل ١:** إحنا حنروح لغريب بك.

**رجل ٢:** موش ممكن يرضى ع الحال ده أبدًا.

(يخرجان.)

**محروس:** كلام مكرم!

**سونة:** كان ممكن أي واحد فينا يبقى مكرم .. وانت نفسك لسه سائل السؤال بتاعه .. مكرم اتحبس عشان قدر يقف في وش الجمعية ويسأل السؤال ده .. ما خافش .. ورغم إن غريب بك بيخوِّف أكتر من نبوية .. فيه ناس كتير برضه بتسأل السؤال ده من غير خوف .. (في حزم) اسمع يا محروس .. إحنا لازم نروح نواجه غريب بك دلوقت .. لازم نشوف مكرم، ونكلِّم غريب بك.

**محروس:** القواعد الجديدة.

**سونة:** إنت خايف منه؟

**محروس:** أصل القواعد اللي حطَّها غريب بك.

**سونة:** إنت لسه عضو في مجلس الإدارة ومن حقك تواجهه .. يلَّا بينا.

**محروس:** مش رايح.

**سونة:** حتروح.
**محروس:** ما اقدرش.
**سونة:** لأ .. تقدر.

(يدخل رجلان في قلق وعصبية.)

**رجل ١:** الناس كلها ملمومة عند بيت الشعب.
**رجل ٢:** الناس بتنادي على غريب بك.
**رجل ١:** لازم تروح لهم يا محروس.
**رجل ٢:** دول عاملين اجتماع وعايزينك (يخرجان).

(تدخل سيدة مسرعة، وتخطف القفص الذي وضعته سونة إلى جوارها.)

**سونة** (تمسكها)**:** على فين يا ست انتي؟
**السيدة:** قفصي.
**سونة:** لا يا شيخة؟ دا موش قفصي يا محروس؟ موش قفصي يا حميد؟ موش قفصي يا رجالة؟ (تنزعه منها ثانية).

(همهمة عامة.)

**محروس:** عال عال .. من إمتى فيه حاجة اسمها قفصي وقفصك؟ إحنا موش قلنا ألف مرة إن كل حاجة بتاعة المجتمع .. الناس؟

(يدخل الناس واحدًا بعد الآخر.)

بقى اسمعوا كلكوا .. صحيح الحاجات شاحَّة شوية اليومين دول .. لكن طول عمرها بتشح وترجع تزيد .. صحيح فيه ضيق شوية .. لكن ده في انتظار المحصول الجديد .. وبعدين انتو بتلوموا الجمعية ليه؟ زي ما غريب بك قال .. لوموا نفسكو عشان الإنتاج ما زادش كما يجب .. غريب بك راجل مثقف.

(فجأةً تُسمع دقات الطبول والمزامير، وتدخل الراقصات تقودهن مغنية وخلفها فتيات يرددن المقاطع.)

**المغنية:**

مبروك يا ولادنا وعقبالنا،
الخير أهو زاد .. زاد في جمالنا،
مبروك .. مبروك .. يا ولادنا،
السعد أهو بيهل علينا،
بينوَّر أرضنا وسمانا،
الكل ينول اللي قسم له،
ولا حد بيبطر ويبرطم،
مبروك يا ولادنا وعقبالنا.

(محروس يصيح في الجميع فيصمتون.)

**محروس:** إيه اللي جابك انتي وهيه؟ مين اللي بعتكو .. انطقوا.
**سونة:** غريب بك يا محروس .. مش سامعهم بيقولوا راضيين بنصيبنا وأحوالنا؟
**المغنية:**

راضيين بنصيبنا وأحوالنا،
وحنفضل شاكرين للمولى،
هو اللي خلقنا ووهبنا،
مين يقدر يفهم مقصوده،
مبروك يا ولادنا وعقبالنا،
شايفين الأنوار بتلالي،
وبلدنا الزين صوتها عالي؛
قمنا غنينا ورقصنا،
مبروك يا ولادنا وعقبالنا.

**محروس** (صائحًا): كفاية بقى .. كفاية.

(يطرد الراقصات.)

(يدخل رجلان في عصبية.)

**رجل ١:** غريب بك ضاع.
**رجل ٢:** ما حدش قادر يعتر عليه واصل!
**رجل ١:** من ساعة ما بَعَت الإخبارية!
**رجل ٢:** ضاع يعني ضاع!

(همهمة بين الجمهور.)

**محروس:** مين اللي قال الكلام ده؟
**رجل ١:** ده صحيح يا محروس أفندي.
**رجل ٢:** صدَّقنا يا محروس أفندي.

(يدخل حميد.)

**حميد:** فين الست نبوية؟ أنا قلتلها تحصَّلني على هنا.

(نبوية تدخل خارجة من الدكان.)

نبوية؟! إنتي هنا بتعملي إيه؟
**نبوية:** بافكَّر يا حميد.
**حميد:** تاني؟! هي دي عايزة تفكير؟
**نبوية:** عايزة تفكير وتدبير يا عم حميد .. (في نبرات متعبة) اصرف الناس دُوْل يا محروس (محروس يصرف الجمهور) أنا بقى لي أيام وليالي مش قادرة اتْلَم على نفسي .. ولأول مرة بعد شهور قدرت أعمل اللي طول عمري باحلم بيه.
**حميد:** إنتي تعبانة يا نبوية؟
**نبوية:** بالعكس .. أنا حاسة بإن التعب راح للأبد.
**حميد:** عارفة إن غريب ضاع؟
**نبوية:** ودي مهمة في إيه؟
**حميد:** إزاي بقى؟
**نبوية:** غريب بك يا حميد فقاعة على السطح .. كان لازم تفرقع .. إن ما كانش النهارده يبقى بكرة .. سحابة ما لهاش ظلال، لكن المهم هو احنا .. أنا وانتو والجمعية.
**حميد:** ما احنا حنعدِّل اللايحة.

**نبوية** (تضحك): ونستمر زي ما كنا؟! (تضحك) مستحيل! (تتردد) ولَّا ممكن؟! وإذا كان ممكن يبقى ازاي؟! دا اللي كنت بافكَّر فيه!

(سونة ومحروس يقتربان منها في حذر.)

**سونة:** هو سي مكرم لسه في الحجز؟

(منفجرة) ما اعرفش .. ومش عايزة أعرف .. (تضع رأسها بين يديها) مخِّي حينفجر .. أنا باحب مكرم .. مكرم جوزي وحبيبي .. (فجأة) والجمعية؟! واللايحة؟! والمجلس؟! وميت حلاوة؟!

**محروس:** المبادئ يا ست نبوية.

**نبوية** (مقاطعة): المبادئ! مبادئ مين؟ اسمع يا محروس .. سونة .. حميد .. أنا حاسة إن جُوَّاي حاجات لأول مرة بتتفتت .. بتتقطَّع .. أنا حاسة إني ما عدتش قادرة استمر .. ولا حتى كامرأة .. كزوجة لرجل مخلص.

**سونة:** أنا فاهماكي كويس يا ست نبوية .. أنا كمان.

**نبوية:** لا يا سونة .. إنتي لسه صغيرة .. أنا عشت عمر كامل أشتغل عشان أشوف بناية كبيرة جميلة .. حلم جميل بيتحقق .. ولَّا قرب يتحقق .. لَّما قربت أقول إني حققت حلم حياتي .. إني باشوف قُدَّامي كل اللي حلمت بتحقيقه (صمت وتوتر) حصل .. إيه اللي حصل؟! (صمت) مكرم!

**سونة:** الحب أصله.

**نبوية:** موش الحب يا سونة .. الإنسان!

**محروس** (في حذر): زي ما اللايحة .. اللايحة ...

**نبوية:** اللايحة دي نكتة بايخة يا محروس .. أنا حاسة إن احنا خلقنا وحش أكبر مننا .. أكبر من الإنسان اللي جُوَّانا .. واللي أخطر من كده إن احنا صدَّقناه .. سمحنا له يلتهمنا.

**محروس** (في تردد): بس احنا نجحنا في .. نجحنا في إننا ...

**نبوية** (في ذهول): في إننا نلغي قلوبنا؟ في إننا نسمح للأراجوزات إنهم يلعبوا بالألفاظ الكبيرة، ويحوِّلوا كل اللي حاولنا نعمله لنكتة .. مسرحية هزلية .. (فجأة إلى محروس) إنت عارف إن إبراهيم دلوقت هو اللي أخذ مكان غريب.

**محروس:** ما هو غريب .. أصله غريب بك ..

**نبوية:** أصله كان أخد مكان فرج.
**محروس:** ما هو اللايحة.
**نبوية:** لا يا محروس .. موش اللايحة .. إحنا .. الوحش اللي خلقناه .. عارف بيعملوا إيه في الاجتماع دلوقت؟

(يدخل رجلان يهرولان.)

**رجل ١:** اللمة جاية م السوق.
**رجل ٢:** إبراهيم أفندي جايب الجماعة وجاي.
**رجل ١:** الاجتماع حيحصل هنا.
**رجل ٢:** والظاهر عايزين يرجعوكي يا ست نبوية.

(يخرجان.)

**نبوية** (تنخرط في الضحك): يرجعوني! فين؟ ويرجعوني على أساس إيه؟ (جادة) عارف باعتين يقولولي إيه؟ (تقرأ من ورقة) «نحن مستعدون أن نغفر لك مشاعر الحب والغيرة والتملُّك والسيطرة باعتبارها هفوة لن تعودي لها .. وهكذا تتركين مكرم في موعد أقصاه آخر هذا الشهر.» سامع؟
**حميد:** دا كلام زقزوق.
**محروس:** أصله حافظ اللايحة صَم، وبيحب يسمَّع حتت منها كل شوية.
**حميد:** أنا عارف إنه كتب خطابات دورية لكل واحد.
**محروس:** أنا ما وصلنيش.
**سونة:** لأ .. وصلك بس أنا قطعته.
**محروس:** بيهددني؟
**سونة:** لأ .. بيشترط عليك تسيبني في موعد أقصاه ..
**نبوية:** إبراهيم عيِّن زقزوق مستشاره القانوني! إبراهيم بقى بيتكلم عن مبادئ الجمعية .. وعن شروطه على نبوية! إنتو جرالكو إيه يا ناس؟ إحنا جرى لنا إيه كلنا؟

(هرج ومرج – يدخل الشاعر وخلفه الجمهور ووراءهم إبراهيم وزقزوق وظريفة.)

(لحظة توتر وبعدها يبدأ إبراهيم في الحديث.)

**إبراهيم:** أنا موش حاطوِّل .. أنا بس حاشرح الظروف اللي أدِّت إلى التغيير في إدارة الجمعية .. وبعدين حاسمح للزملاء إنهم يلقوا كلمات .. زقزوق، ومراته ظريفة، ومحروس وسونة .. وكلهم .. اتفضلوا يا إخواني .. اتفضلوا (يلحظ نبوية) إنتي هنا يا نبوية؟! أنا يمكن أفرج عن مكرم قريب .. اتفضلوا .. اتفضلوا.

**زقزوق:** عايز ألقي كلمة فلسفية عميقة.

**إبراهيم:** اتفضل يا زقزوق .. بس ما تطوِّلش.

**زقزوق** (متنحنحًا)**:** يا أيها الناس .. الفوضى التي كانت تضرب أطنابها في الأرض .. (في تلذذ) حلو التعبير ده .. تضرب أطنابها .. تضرب إيه؟ قولوا معاي .. تضرب إيه؟

**إبراهيم** (صارخًا)**:** خُش في الموضوع.

**زقزوق:** أطنابها .. الفوضى التي كانت تسود الجمعية قد انتهت، وبدأنا عهد الرخاء الحقيقي .. كانت الخيرات تعم الجميع في الماضي بينما يسود الفقر في حقيقة الأمر وواقع الحال.

**إبراهيم:** كفاية يا زقزوق.

**زقزوق:** مراتي عايزة تسمع الفصاحة.

**إبراهيم:** كفاية قلت لك .. اتفضل .. أنا حاتكلم.

(لا أحد يصفق، فيشير إلى أحد الواقفين؛ فيصفق ومعه اثنان أو ثلاثة.)

الموضوع وما فيه إنه حصلت انحرافات في تطبيق اللايحة .. اللايحة بتقول مثلًا إن اللي بيخدم في مجلس الإدارة لازم يعمل في أفضل الظروف .. (يصرخ) دا كلام بيحصل؟ قطعًا لأ .. ليه؟ لأنهم لم يتمتعوا بالمسكن الملائم .. النهارده كل واحد في مجلس الإدارة عنده مسكن فاخر، ووسائل انتقال سريعة .. كل واحد في مجلس الإدارة بقى عنده كارتَّة سودة (يشير إلى نفس الرجل ليصفق ومعه قليل من الناس).

لكن الانحرافات مستمرة! مثلًا .. بلغني إنه فيه ناس — رجالة وستات — (مشيرًا إلى نبوية وسونة ومحروس) بيرفضوا يسيبوا أزواجهم .. بقى ده كلام؟ أي مصادرة لحرية الإنسان .. أي كبت لمشاعر البشرية .. أي احتكار، وأي استغلال.

(يشير إلى نفس الرجل ليصفق ومعه القليل.)

بدأنا نرى مظاهر التدخل في شئون الجمعية .. دا بيقول الحاجات بتضيع (مشيرًا إلى حميد) وده بيقول انتو عملتوا إيه؟ ومظاهر الملكية الفردية .. ده يقول ده بتاعي،

دي بتاعتي ..(مشيرًا إلى سونة)واحتكار بعض الفلاحين لبعض الأراضي اللي بيزرعوها .. الكلام ده لازم ينتهي .. اللايحة صريحة.

**زقزوق:** ممكن أسمَّع حتة من اللايحة؟

**إبراهيم:** استنَّى يا زقزوق.

**زقزوق:** مراتي ظريفة نفسها تسمعني.

**ظريفة:** ممكن أتكلم؟

**إبراهيم:** اتفضلي .. تصفيق.

**ظريفة:** ابني تعبان جدًّا في المدرسة .. ليه ما نختصرش الدراسة؟ ونلغي دكتاتورية المدرس اللي بيتحكم في مصير العيال بجرة قلم؟

**إبراهيم:** كل دي أفكار نيِّرة .. حنبطل حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات.

**ظريفة:** الذهن النضيف أحسن من المحشي.

**إبراهيم:** لازم العيال يصلحوا أوراقهم بنفسهم .. كفاية تسلُّط وسيطرة ووصاية .. ودا يقتضي تعديل البطاقات لمنع التبذير في أموال الجمعية اللي هي أموالنا جميعًا .. لازم كل واحد يرضى بأقل م اللي بينُوله .. حسب اللايحة .. واحنا ناخد الباقي .. لأنه لا يمكن إنعاش الريف دون إنعاش مجلس الإدارة!

(يتسرَّب الناس أثناء الخطاب إلى الخارج.)

عب عال! الناس دي راحت فين؟ رجَّعهم يسمعوا بقية الخطاب.

(يخرج عبد العال، ويعود ومعه عدد من الشرطة يسوقون بعض الناس، ويمنعونهم من الخروج.)

أنا كمان ملاحظ إن فيه ناس ساكتين .. كان لازم أعرف إن فيه فئة موش عايزة تتعاون معاي .. ع العموم أنا حاعقد اجتماع في بيت الشعب لمناقشة هذا الموضوع .. خلاص .. انصراف.

(يتفرق الجميع .. يبدءون الخروج واحدًا بعد آخر.)

**الشاعر:**

الساقية بتدور تفضى وتملا،
والدنيا أحوال شوف ازاي عاملة؛

يوم إنت فوق .. يوم عند القمر،
يوم إنت تحت، ويوم حترجع فوق،
والطور بيمشي عمره ما بيفوق،
الطور بيمشي فوق دماغه فلة،
واحنا وراه بنغني .. بنهلله،
صعبان علينا بس إيه نعمل له،
حيوان كريم قلبه على الإنسان،
قام الفتوة قال له: بطَّل جر؛
قال أعمل إيه .. البير عميق مسحور،
لازم أملا مَيَّه .. لازم أفضل أدور،
مكتوب عليَّ .. دا قدر مقدور.

(يعود الشاعر إلى تحريك شفتيه دون صوت بينما يسير حميد إلى مقدمة المسرح.)

**حميد:** شوف الحلم لمَّا يبقى كابوس .. على رأي مكرم .. بس هو طول عمره حلم موش معقول .. حلم زي الكابوس.

**محروس:** أنا خايف يا عم حميد.

**سونة:** وأنا يا عم حميد.

**حميد:** خايفين صحيح؟ خايفين من إيه؟ من أراجوز زي ده؟

**نبوية** (في نبرات رزينة)**:** لهم حق يا حميد.

**حميد:** وانتي كمان يا نبوية؟! إنتي حتضعفي يا نبوية عشان أفندي لا راح ولا جه.

**نبوية:** اخرس! مكرم سيد الرجال.

**حميد:** واللي بنيناه! كل اللي عملناه سوا .. سنين وسنين .. عايزة تهدميه في لحظة؟! الجهد والعرق .. الكلام والمبادئ والحواديت الطويلة؟! خلاص؟!

**نبوية:** أنا باعترف إني غلطت .. (في انهيار) واتخدعت.

**حميد:** متأسِّف .. فات الوقت للندم .. أنا بَعَت الإخبارية من يومين .. من قبل ما نضيَّع غريب .. والجماعة زمانهم جايِّين.

**نبوية** (تصعق)**:** الجماعة؟

**حميد** (صارخًا): أيوه الجماعة .. خليها تخرب باللي فيها بقى .. أنا غلطان اللي تصورت إن واحدة ضعيفة ممكن تكبر وتشاركني حلمي العظيم.
**نبوية:** عملت كده ليه يا حميد؟! (تتهاوى شبه مغمى عليها).
**سونة** (تُهرع إليها في لهفة): ست نبوية .. سلامتك ألف سلامة.
**محروس:** حاجيب لها مَيَّه (يخرج).

(يعود بالماء.)

**سونة:** سلامتك يا حبيبتي (تروِّح على وجهها، وتحاول إفاقتها).
**حميد:** كان لازم أعرف إن الست مهما كان ست.

(يدخل رجل، ويتجه إلى حميد.)

**الرجل:** الحق يا عم حميد .. فيه ناس وصلوا ع الشط .. لابسين أفندية ميري.
**حميد:** عال .. عال.
**الرجل:** بيدوَّروا على واحد موش لاقيينه.
**حميد:** طب مع السلامة انت.
**الرجل** (آمرًا): قلت لك مع السلامة .. (يفرك يديه في فرح) إذا كانت حتخرب خليها تخرب! قال حب وغيرة وأطفال قال! (إلى نبوية التي تكون قد أفاقت) ابقي خلِّي مكرم ينفعك!

(مكرم داخلًا.)

**مكرم:** ربنا يسهِّل وننفع بعض!
**الجميع** (في ذهول): مكرم! مكرم!

(إظلام سريع.)

## المشهد الثاني

(نفس المنظر – نفس الأشخاص: سونة ومحروس ونبوية وحميد ومكرم – يدخل المحقق.)

**المحقق:** فين المدعو حميد عبد المولى؟

**حميد:** أنا يا فندم.

**المحقق:** إنت ازاي تسمح لنفسك بإزعاج السلطات؟ إنت مش عارف إن الإخبارية الكاذبة عقوبتها كبيرة؟

**حميد:** لكن يا فندم كل حاجة قلتها صح.

**المحقق:** غلط .. أنا بقى لي خمس ساعات دلوقت بابحث أوراق المبنى اللي انت حددته.

**حميد:** بيت الشعب.

**المحقق** (يضحك)**:** آل بيت الشعب آل! بحثت الأوراق والدفاتر، ودوَّرت أنا ورجالتي في كل مكان؛ ما قدرتش ألاقي أثر واحد للكلام اللي انت قلته .. لا مخالفات مالية ولا إدارية، أو إرهاب للسكان، ولا حد اسمه غريب، ولا أي حد خالص .. أنا مغفل! بقى معقول تبقى فيه حاجة كده .. (يقرأ) جمعية تعاونية زراعية صناعية نقابية عمومية (يضحك) معقولة دي؟ أنا مغفل اللي صدَّقت .. لكن أعمل إيه؟ الإخبارية وصلت والحكمدار أمرنا نيجي.

**حميد:** لكن أحلف لك يا بيه.

**المحقق:** خلاص .. كفاية .. لكن لازم أنذرك .. أي بلاغ كاذب تاني حتروح في داهية .. سلام عليكو .. كانت ليلة يعلم بيها ربنا!

(يخرج.)

**محروس:** أنا موش فاهم حاجة خالص!

**نبوية:** إيه اللي حصل يا حميد؟

**سونة:** الراجل ده مين؟

**مكرم:** أنا حاشرح لكم كل حاجة .. بس الأول لازم أقول لكم على الغلطة اللي وقعنا فيها كلنا .. أيوه كلنا .. إنتو الأول وبعدين أنا .. والغلطة دي خطرت لي وانا في الحجز .. كنت قاعد لوحدي ممنوع من كل حاجة .. من كل حاجة إلا نفسي .. فكرت وفكرت .. وكل ما كان إحساسي بالضعف يزيد .. إحساسي بالوحدة والعزلة .. كنت باحس بإني أقوى الأقوياء .. أقوى من كل اللي عاملين جمعية ويتسندوا على بعض زي أراجوزات السيرك .. أنا .. لوحدي .. بذاتي.

**سونة:** أنا ما عدتش فاهماك يا سي مكرم.

**محروس:** أنا عمري ما فهمته واصل.

**مكرم:** نبوية فاهماني .. وحميد طبعًا .. والطابور الطويل اللي مر عليهم وضاعوا .. نبيه وفرج وغريب.

**محروس:** وإبراهيم .. لازم؟

**مكرم:** لأ .. إبراهيم لحسن الحظ نفد بجلده في اللحظة الأخيرة .. أفرج عن نفسه ساعة ما أفرج عني.

**نبوية:** أنا موش فاهماك يا مكرم.

**مكرم:** لأ فاهمة .. الغلطة اللي أنا غلطتها هو إني لَمَّا الغنم راحت .. لَمَّا ضاعت .. اتصوَّرت إن الناس كلها ممكن تضيع هي روخره .. صحيح فيه ناس كتير ضاعوا زي ما فهِّمني حميد في الأول .. لكن كنت قلقان على أهل ميت حلاوة كلهم .. موش على واحد ولَّا اتنين .. عرفتي إيه بقى الغلطة؟ اتصورت إن الجمعية نجحت في إنها تخلِّي الناس تعيش من غير إحساس بالأرض .. بالملكية .. بالغيرة .. بالامتلاك .. بالتسلُّط .. بالسيطرة.

**محروس:** كل ده ممنوع.

**مكرم:** مين اللي منعه؟ إنت فاهم اللايحة دي بتقول إيه؟ عمرك درستها ولَّا قريت اللي فيها؟

**محروس:** أنا مخي على قدِّي .. لكن.

**مكرم:** مالكنش اللايحة بتقول إن احنا نعيش موش بني آدمين .. عشان ناس تانية تعيش إيه .. إيه يا حميد؟ إنت ما بتتكلمش ليه يا راجل؟

**حميد:** أقول إيه؟

**مكرم:** تقول على اللي عملته من ورا كل اللي انخدعوا بكلامك الحلو .. كل اللي قلتلهم أنا باحبكم وبلَّغت السلطات عنهم.

(لحظة صمت متوترة لا يجد فيها حميد جوابًا.)

موش لاقي كلام تقوله صحيح؟ غريبة؟ مع إنك كاتب كلام كتير في الإخبارية .. صفحات وصحفات .. ما كنتش أعرف عنك الفصاحة دي .. والأفكار دي!

**حميد:** دي أفكار الجمعية! أفكار الناس.

**مكرم:** لا يا سعادة البيه! الناس حاجة والجمعية حاجة.

**نبوية:** الفكرة إنه الجمعية هي الناس يا مكرم.

**مكرم:** هي دي غلطتكو يا نبوية .. إنتو قلتوا كده في الأول للناس .. صدَّقوكوا .. وبعدين قلتوها لنفسكو .. وصدَّقتوا نفسكو .. النهارده بس بان الدليل على إن الناس ما لهاش أي علاقة باللي كان بيحصل في ميت حلاوة .. حاقول لكم ازاي .. لَّما وصلوا الضباط من مصر اتفزع إبراهيم .. (يضحك) مسكين! جالي جري وهو بيترعش .. كان خايف يقبضوا عليه .. ولَّا يضيَّعوه .. زي ما بتقولوا! هدِّيته وقلت له ما تخافش، وجريت على بيت الشعب وخلَّصتكوا من كل آثار الكابوس.

**حميد:** إنت اللي ...

**مكرم:** أيوه يا حميد .. أنا اللي قطَّعت كل الأوراق .. أزلت آثار الجمعية.

**حميد:** قطَّعت الورق .. والدفاتر؟

**مكرم:** الحقيقة إن الناس هي اللي أزالت كل آثار البلوة دي .. المحقق قبل ما ييجي بيت الـ .. الشعب! فضل خمس ساعات يلف ويدور، ويسأل ويطَّقس .. ما فيش واحد فتح بُقه بكلمة .. ما فيش إنسان قدر يقولُّه إنه كان فيه جمعية .. ليه؟ لأنهم بني آدمين .. استحملوا وسكتوا .. جرَّبوا الخوف والكبت والحرمان من غير ما يفقدوا الإنسان اللي جُوَّاهم .. ولَّما جات لهم الفرصة إنهم يرفضوا .. رفضوا .. وكل اللي عملته أنا إني حرقت السجلات والتسجيلات اللي ...

(حميد يحاول الخروج.)

على فين يا حميد؟

**حميد** (يتسمَّر في مكانه)**:** أبدًا .. دانا كنت بس.

**مكرم:** ما تخافش .. إحنا ما عُدناش بنضيَّع حد، ولا بنحتجز حد .. خلاص.

**محروس:** وراح فين إبراهيم أفندي؟

**سونة:** هو ما جاش ليه؟

**مكرم** (يضحك)**:** زمانه جاي .. أصله كان عند عبلة بيحاول يقنعها تقبل.

**سونة:** هو بيحبها؟

**محروس:** بس هي كانت عايزة واحد أفندي!

**مكرم:** يا محروس الحب ده حاجة موش بإيدينا.

**محروس:** هي اللايحة خلاص؟

**مكرم:** خلاص وستين خلاص .. إنت يوم ما اكتشفت حبك لسونة كنت بتدمَّر اللايحة والجمعية، وسونة .. يوم ما قررت إنها تتجوزك كانت بتعلن رفضها للعملية كلها.

**نبوية:** دا زي الحلم الجديد.

**مكرم:** أنا موش حاستخدم الكلمة دي من هنا ورايح .. أنا عايز أعيش في الأرض .. مع الناس اللي أثبتوا إنهم رجالة، وأعظم رجالة في الوجود .. عشان جذورهم ثابتة وعميقة في الأرض .. الأرض الصلبة .. موش أرض الحلم.

**نبوية:** وحبنا.

**مكرم:** حبنا كل حاجة في حياتنا؛ لأنه حياتنا نفسها .. وحريتنا .. وسعادتنا.

**نبوية:** وحنعمل إيه دلوقت؟

**مكرم:** تفتكري حنعمل إيه؟

**نبوية:** احتفال؟

**مكرم:** لا لا لا .. كله إلا الاحتفالات التلقائية بتاعة زمان!

(تدخل الراقصات والمغني والمغنية.)

انصراف يا جماعة .. اللي عايز يحتفل يحتفل بَرَّه .. بعيد.

(يدخل إبراهيم ومعه عبلة.)

**إبراهيم** (صائحًا): وافقت!

**عبلة:** بس موش عايز يحدد المدة!

**مكرم:** تأبيدة يا عبلة! مؤبد! على طول.

**عبلة:** طوَّالي يعني؟ على طول!

**مكرم:** ما عُدتيش تفلتي واصل!

**عبلة:** وأعيش في المراكب مع الصيادين؟

**مكرم:** وجُوَّه المية وبره المية!

(الراقصات يرقصن.)

**المغنية:** مبروك يا ولادنا وعقبالنا ... إلخ.

**الشاعر:**

الليل بيضحك .. والقمر بيدور،
سابحين في حلم جميل مالوش آخر،
ولَّا فُقنا برضه جانا النور،
والشمس حامية، والسحاب ساير.

**مكرم:** وانت كمان تروَّح (الشاعر يسكت).
اللي عايز يغني يغني بعيد .. واللي عايز ينشد ينشد بعيد .. الإنسان أكبر من إننا نشتريه بلقمة وغنوة .. الإنسان هو اللي بيعمل الحياة على وش الأرض.
**نبوية:** طب وعشان خاطري!
**مكرم** (ضاحكًا)**:** طب غنوة واحدة وخلاص.

(تعود المغنية والغناء والرقص بينما يهبط الستار رويدًا رويدا.)

(ستار)

# دراسة نقدية

## بقلم د. سمير سرحان

بدأت رحلة الكاتب المسرحي محمد عناني مع المسرح منذ عام ١٩٦٣، فهو من الرعيل الثاني من كتَّاب المسرح الحديث، الذين ظهروا بعد جيل نعمان عاشور، وسعد وهبة، ويوسف إدريس، وغيرهم .. ولقد كانت النهضة المسرحية الكبرى التي بدأت مع أوائل الستينيات مع ظهور فِرَق التليفزيون المسرحية؛ مسئولةً عن ظهور عدد من الكتَّاب الشبان الذين أوتوا موهبة مسرحية خالصة .. وقد كفَّ بعض هؤلاء عن الكتابة للمسرح بعد المسرحية الأولى، وقليل منهم مَن واصل الكتابة؛ ليثبت بدأبه وإخلاصه الشديد لهذا الفن العريق أن المسرح المصري قادر أن يجدد نفسه دائمًا، وأن يُفْرِخَ جيلًا بعد جيل من الكتَّاب الموهوبين الذين يعبِّرون عن ضمير هذا الشعب. ومن بين هؤلاء القلائل الذين لم يتساقطوا في وسط الطريق الدكتور محمد عناني.

وتجربة محمد عناني في المسرح لم تقتصر على مجرد التأليف — وإن كان قد كتب عام ١٩٦٢ مسرحيته الأولى «الدرجة السادسة» التي كادت أن ترى النور بالمسرح الكوميدي من إخراج عبد المنعم مدبولي — ولكن دخوله إلى عالم المسرح الرحيب كان من عدة أبواب، وليس من باب واحد، كان من بينها باب الإعداد المسرحي؛ عندما اشترك مع كاتب هذه السطور في إعداد مسرحية «من أجل ولدي» عن القصة المعروفة للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله، وكانت أول مسرحية تقدِّمها مسارح التليفزيون وأخرجها نور الدمرداش، وكذلك مسرحية «عندما نحب» عن قصة للأستاذ محمد التابعي. وكان أحد

الأبواب التي دخل منها محمد عناني إلى عالم المسرح السحري هو باب الترجمة. فقد اشترك مع كاتب هذه السطور أيضًا في ترجمة مسرحية تشيكوف العظيمة «الخال فانيا» التي قدَّمها المسرح القومي في موسم ١٩٦٤، وكان لها دويٌّ هائل في الأوساط الثقافية والمسرحية، وكذلك مسرحية «الخرتيت»، وهي من روائع مسرح اللامعقول.

ولذلك فإن محمد عناني عندما أقدَم على تأليف مسرحيته الثانية «البر الغربي» كان قد تمرَّس بفنون العرض المسرحي والتجربة الحية في ملامسة الجمهور، والوقوف على نبضه .. ومن خلال التجربة الساخنة مع المسرح خصوصًا في مسرح الحكيم استطاع أن يكتشف عالمه، ويكتشف موهبته، ويسيطر على أدواته ككاتب مسرحي من خلال الإعداد والترجمة، وتجربة أولى غير مكتملة هي «الدرجة السادسة».

وعندما ظهرت أول مسرحية له على خشبة المسرح في موسم ٦٤-١٩٦٥ وهي «البر الغربي»؛ أفصحت عن موهبة مسرحية حقيقية، وعندما جاءت مسرحيته الثالثة «ميت حلاوة» أكَّدت أن موهبته قد نضجت ورسخت .. وأنه أصبح من الكتَّاب الذين نعوِّل عليهم الكثير في إثراء الحركة المسرحية.

والفارق بين «البر الغربي»، و«ميت حلاوة» يكاد يبلغ عشر سنوات .. وهي السنوات التي تفرَّغ فيها الكاتب لنيل درجته العلمية في الأدب الإنجليزي .. ولكن تجربته الأكاديمية لم تصرفه عن المسرح، بل أكاد أقول إنه لولا هذه التجربة نفسها لَمَا وصل محمد عناني إلى ما وصل إليه الآن من نضج ككاتب مسرحي. فطوال هذه السنوات التي قضاها في إنجلترا كان يختلف إلى المسارح المتعددة التي تمتلئ بها لندن، ويملأ عينيه وحواسه ووجدانه بكل جديد ومثير من العروض المسرحية التي يموج بها المسرح الإنجليزي. ولقد كان لهذا الاحتكاك المباشر بالمسرح الغربي أثره في تطوير شخصية محمد عناني ككاتب مسرحي، وإثراء وجدانه، وزيادة سيطرته على أدواته المسرحية.

والكاتب الأصيل هو ذلك الذي تشغله دائمًا موضوعات وتيمات معيَّنة .. وهذا هو الحال مثلًا مع «إبسن» الذي نجد عنده تيمة الماضي الذي يجثم بأنفاسه على الحاضر حتى يدمره .. «سترندبرج» المشغول دائمًا بتيمة الحرب النفسية والجنسية والفكرية بين الرجل والمرأة .. و«تشيكوف» الذي نجد عنده تيمة الإحباط والعجز .. وهذه التيمات المترددة في أعمال الكتَّاب الراسخين؛ هي التي تعطي عملهم المسرحي مذاقًا فريدًا يميِّز كل منهم عن الآخر، ويعطي تجربته طعمها الخاص.

وبالرغم من أن محمد عناني ما زال أمامه شوط ليس بالقصير لكي يصل إلى ما وصل إليه هؤلاء الراسخون .. إلا أنه اختار لنفسه مذاقًا فريدًا، وعبَّر في عمليه الأخيرين عن

تيمات مترددة، من الواضح أنها تشغله منذ البداية؛ فالذي يتأمل «البر الغربي»، و«ميت حلاوة» — بالرغم من الفارق الزمني بينهما — يجد أن الأحداث في كلتا المسرحيتين تدور في قرية ساحلية صغيرة، ليست موجودة على الخريطة، وإنما تمثِّل في تكاملها ونظام حياتها عالمًا قائمًا بذاته له قوانينه الخاصة، أو كما يقول مكرم لغريب في «ميت حلاوة»: «مكان ممتاز .. قدر ينسى الزمن زي الزمن ما نسيه .. قدر يخلق لنفسه قوانينه الخاصة .. أحكامه الغريبة اللي محدش يفهمها غيره .. أصبح عالم غريب قائم بذاته .. زي عالم الفن.»

وفي «البر الغربي» نجد أن هذه القرية الخيالية التي تحكمها قوانينها الخاصة تقع على النيل .. وفي «ميت حلاوة» قرية من طرح النيل نسيها الزمن كما نسيتها بقية مصر. والحدث الرئيسي الذي ينتظم كلتا المسرحيتين هو حدث فانتازي خيالي .. أو من الممكن أن نسميه «حدث خارق» يلقي به المؤلف كالقنبلة في بداية المسرحية، ثم ينسج حوله أطراف الصراع، ويكشف من خلاله أعماق الشخصيات، ويتطور به إلى نهاية تكشف موقف الكاتب من الكون والحياة.

وفي «البر الغربي» نجد أن الحدث الخيالي الخارق هو ظهور «حندوسة» في البر الغربي للنيل .. و«حندوسة» هو مجرم خطير يهدد القرية كلها بالدمار .. وإن لم يره أحد من أهلها على الإطلاق. وعند ظهوره في بداية الحدث تصبح القرية كلها في حالة توجُّس وخيفة من هذا الخطر الكامن؛ فـ «حندوسة» إذن هو استعارة درامية لفكرة الخطر الذي يتهدد مجتمعًا بأَسْره. ورغم ذلك فإن المؤلف يوظِّف هذه البداية الخيالية لكي يكشف عن الكثير من العلاقات الاجتماعية والإنسانية التي تسود هذا المجتمع الصغير؛ إذ يتصادف أن يسمع أهل القرية إطلاق الرصاص في نفس الوقت الذي يتصادف فيه مرور المدرس الإلزامي البسيط الساذج «جمعة» بساحة القرية وحده، وعندما يأتي مَن يعلن قتل «حندوسة»؛ يتصور البعض أن «جمعة» لا بد أنه هو البطل المغوار الذي أنقذ القرية من هذا المجرم العتيد. وتبدأ حركة العلاقات الإنسانية في التغيُّر، فبعد أن كان «جمعة» مدرسًا عاديًّا، بل ومثار سخرية الناس في كثير من الأحيان؛ تحوِّله الحركة الديناميكية لمجتمع بأَسْره من صعلوك إلى بطل، ثم إلى طاغية أشد خطرًا على القرية من «حندوسة» نفسه؛ ولذلك فإن البطل في هذه المسرحية ليس هو «جمعة» — وإن كان «جمعة» هو الشخصية الرئيسية فيها — وإنما هو القرية بأكملها في خوفها من خطر وهمي .. وفي صناعتها للبطل .. ثم في وقوعها ضحيةً لِمَا صنعته بأيديها عندما يتحوَّل البطل إلى طاغية.

وفي «ميت حلاوة» يستخدم الكاتب نفس تكنيك «الحدث الخارق» الذي يفجِّر به الموقف الدرامي منذ البداية .. وهو ضمنًا اختفاء ثلاثة أو أربعة آلاف رأس من أغنام القرية في ليلة واحدة .. في نفس الوقت الذي يصل فيه قادم جديد من القاهرة هو الأستاذ غريب مفتش الضرائب؛ ليطالب أهل القرية — التي نسيها الزمن كما نسيته — بما تأخر عليهم من ضرائب لسنواتٍ وسنوات.

ولكن .. ما هو الموقف الأساسي الذي يدخل فيه هذان العاملان الجديدان، فيغيران من تركيبته، ويفجران فيه قوى التغيُّر والتغيير؟

نحن بإزاء قرية خيالية من طرح النيل غير موجودة على الخريطة، نسيها الزمن كما نسيتها بقية مصر، هي قرية «ميت حلاوة». وهذه القرية استنَّت لنفسها منذ سنوات عديدة نظامها الاقتصادي والاجتماعي الخاص؛ فهناك جمعية بها المأكل والملبس والغلال، يأخذ منها كلٌّ حسب حاجته .. وهناك «مجلس إدارة» لهذه الجمعية يدير شئونها تتولى أموره «نبوية»، وهي امرأة رائعة الجمال طاغية الشخصية تُحكِم قبضتها على أعوانها بيدٍ من حديد؛ حتى يسير النظام كما يريدون له أن يسير.

ولا يلغي نظام الجمعية الاحتكار فيما يتعلق بالأمور الاقتصادية فقط، وإنما يلغي أيضًا الكثير من المشاعر الإنسانية الطبيعية والفطرية؛ مثل: الحب والغيرة، أو حب السيطرة التي يعتبرها جميعًا جزءًا من غريزة حب التملك والامتلاك التي قام نظام الجمعية ليقضي عليها. ويذهب النظام في إلغائه لغريزة التملك إلى حدِّ التطرُّف، فيفرض نظامًا خاصًّا للزواج، لا يصبح الزواج بمقتضاه عقدًا أبديًّا بين رجل وامرأة، وإنما هو عقد ينتهي عند أجلٍ معيَّن، بعده يصبح للزوجين من جديد حرية الاختيار في أن يستمرا معًا، أو يختار كل منهما لنفسه شريكًا آخر.

ورغم أن هذا الموقف الأساسي يشير إلى نظام اقتصادي معيَّن؛ إلا أن الكاتب لا يحدد تمامًا هذا النظام بدولة، أو مذهب سياسي بعينه .. وإنما يفضِّل أن يترك الأمور دون تحديد؛ ليصبح نظام «ميت حلاوة» دلالةً على أي نظام شمولي بشكل عام.

وبمجرد أن يُرسي المؤلف هذه الأرضية المبدئية — النظام الشمولي بكل ما فيه من شعارات المساواة، وإلغاء السيطرة، وحب التملك ... إلخ — يبدأ شيئًا فشيئًا في تعرية هذا النظام، وإبراز ما ينطوي عليه من خلل أساسي. وهو يبذر بذور هذا الخلل منذ الحادثة الأولى — حادثة اختفاء أغنام القرية — وهي حادثة من الجسامة والخطورة؛ بحيث يجب أن تزلزل كيان القرية نفسها، ويجعلها تفيق إلى ما يوجد في تكوينها الأساسي من خلل

.. ولكنَّ أحدًا لا يبدو أنه يعطيها حجمها الحقيقي سوى شخصية واحدة هي مكرم، ذلك الموظف القاهري الذي وفد على القرية منذ عدة سنوات معيَّنًا بها من قِبَل الحكومة في القاهرة، فوجد فيها حلمه .. حلم الحياة البسيطة، أو يوتوبيا الحياة النموذجية التي يتخلص فيها الإنسان من كل تعقيد المدنية وصراعاتها، ويتفرغ لصناعة السلال ومشاركة أهل القرية البسطاء احتفالاتهم البسيطة من تحطيب ورقص وغناء.

وإذا كان «مكرم» قد وجد ذاته وحلمه في «ميت حلاوة»؛ فيبدو أنه لم يتنبَّه في البداية إلى أخطار النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي استنَّته لنفسها .. ولذلك فعندما تحدث حادثة اختفاء الأغنام أو ضياعها يصطدم بها وعيه، ويكون لوقع الصدمة دويٌّ هائل في نفسه يجعله يفيق من زيف الحلم الذي آمن به، ويفتح عينيه على الخلل الخطير الذي يجعل من «ميت حلاوة» واجهةً لامعةً وراءها أخطر الأمور.

فتفجُّر وعي مكرم منذ البداية إزاء حادثة الغنم، وانكسار الحلم الذي عاش به في «ميت حلاوة» هو الموقف الأساسي الذي يكشف عن الخلل، أو السرطان الذي يكمن في خلايا هذا الجسد اللامع من الخارج .. ويصاحب انهيار حلم مكرم انهيار قيمة الحب أيضًا في وعيه .. فمكرم يحبُّ سونة ابنة القرية، ولكنه يفاجَأ وهو ينتظرها في ساحة القرية عند المغرب أنها قد تزوجت في الصباح .. يخبره بذلك «حميد» ضمير القرية والنموذج النمطي لشخصيتها؛ فهو الجالس دائمًا إلى شيشته يأخذ أعظم الأمور وأخطرها ببساطة مذهلة، ثم لا يلبث في اجتماع مجلس إدارة الجمعية أن يمارس حقه كاملًا في حماية هذا النظام الغريب بكل ضراوة.

ولنعد إلى مكرم فنقول إنه عندما يسمع من حميد بأن سونة التي عاهدته على الزواج قد تزوجت من غيره؛ يصاب بخيبة أمل شديدة، تسلمه إلى الشك في أن حب سونة له كان خداعًا وسرابًا .. ولكن حميد يطمئنه بأنها لم تخدعه، وإنما هي ستفي بوعدها بالزواج منه بعد أن ينتهي الأجل المحدد لعقد زواجها من محروس .. وهنا فقط يدرك مكرم الخلل الأساسي في هذه اليوتوبيا التي كان قد رسم لها في خياله ووعيه صورة وردية، ويدرك أيضًا أن «ميت حلاوة» ليست إلا آلة اقتصادية صمَّاء تلغي إنسانية الإنسان، وتحوِّله إلى ترس لا عقل له، ولا قلب، ولا روح .. ترس صغير لا أهمية له، قد يضيع كما ضاعت الغنم، ومن قبلها الطنابير .. أو قد يُحكَم عليه بالضياع مثل نبيه وفرج.

ويؤكد المؤلف هذا المعنى بطريقة تهكمية ساخرة من خلال أعضاء مجلس إدارة الجمعية التي تدير أمور القرية، فنبوية رئيسة الجمعية تصدر أوامرها بأن يكون التعبير

عن المشاعر أثناء الاحتفالات «تلقائيًّا»، وتحدد لهم في نفس الوقت ماذا يقولون، وكيف يعبِّرون عن أنفسهم بالضبط. ونبيه عندما يذهب إلى خارج القرية ليبيع أسماكها يُتَّهم بالاتصال بجهاتٍ أجنبية، ويُحكَم عليه بالضياع .. والجميع مطالبون بالتزام «الوحدة الفكرية»، وهي طبعًا كل ما ترضى عنه نبوية ومجلس الإدارة من أفكار .. والخروج على هذه الوحدة الفكرية معناه الضياع .. الضياع المادي، وليس مجرد الضياع المعنوي، كل ذلك بالرغم من تشديد نبوية على أعضاء الجمعية بضرورة التعبير عن آرائهم بحرية تامة!

والنموذج الكامل لهذه «الوحدة الفكرية» هو زقزوق — محط سخرية المؤلف وسخريتنا؛ فزقزوق هو الذي يحفظ لائحة الجمعية عن ظهر قلب، ويردد ما بها من كليشيهات وشعارات كالببغاء، دون فهم أو وعي .. ويستعرض فصاحته في الخطابة حتى يبهر زوجته ظريفة!

والعامل الآخر الذي يكشف الخلل الأساسي في تكوين «ميت حلاوة»؛ هو وصول الأستاذ غريب الذي جاء يطالب أهل القرية بالعودة إلى حظيرة النظام الإنساني الطبيعي .. فالضرائب التي يطالب بها الأستاذ غريب في البداية ليست إلا دلالة على شيء أعمق، وهو أنه قد حان الوقت لكي تصحو «ميت حلاوة» من سُباتها، وتعود إلى الانتماء إلى الوطن الأم .. فالأستاذ غريب يذكِّر أهل القرية أن هنا دولة تبني لهم طرقًا، وتمدُّهم بخدمات أساسية كالإنارة والمياه .. وأن هذا يمثل رابطًا بينهم وبين عالم أوسع تسير فيه الأمور على نحو مغاير تمامًا لِمَا تسير عليه في «ميت حلاوة».

وتدرك نبوية الخطورة الشديدة الكامنة في وصول هذا الوافد الجديد الغريب .. فالمسألة ليست مجرد ضرائب، وإنما هي أبعد من ذلك وأعمق .. فوجود غريب يعني في الحقيقة بالنسبة لـ «ميت حلاوة» تسلُّل أفكار غريبة على هذا النظام الشمولي الذي بنته نبوية، ورعته هي ورجالها حتى أصبح واقعًا، وهي أفكار تهدد النظام بالانهيار التام. ومن هنا يأتي الاجتماع العاجل الذي تعقده نبوية لدراسة أفضل الطرق لإبعاد غريب بأسرع ما يمكن .. ولكن غريب ليس واحدًا من أهل القرية يمكن الحكم عليه بالضياع فيضيع، وإنما هو ممثل الشرعية، والقانون، والحكومة .. وإلحاق أي أذًى به يعني في الحقيقة استعداء الحكومة المركزية، وتذكيرها بالقرية التي نسيها الزمن .. وإذا كان من المستحيل إبعاد غريب، فإن «ميت حلاوة» تقرر امتصاصه، تمامًا كما امتصت من قبله مكرم الذي وفد على القرية غريبًا مثله من سنين.

ولكن غريب ليس «مكرم» .. فمكرم رجل كان له حلم عظيم، ووجد في «ميت حلاوة» حلمه، ثم اكتشف أن هذا الحلم قد خانه .. أما غريب فهو من ذلك الطراز من الرجال الذين لا يحلمون، وإنما يتعاملون فقط مع حقائق الواقع الصلبة .. وهكذا يقرر غريب أن يمتص «ميت حلاوة»، ويسرق تجربتها لحسابه الخاص قبل أن تمتصه هي .. وهو ينفذ خطته في نفس اللحظة التي يبدأ فيها وعي نبوية في التفتُّح على حقائق النفس البشرية التي تشكِّل إنسانية الإنسان، وأهمها الحب والغيرة والمشاعر الخاصة.

ويقود غريب مجلس الإدارة في انقلاب حاسم على نبوية؛ ليخلعها من إدارة الجمعية بتهمة أنها سمحت للمشاعر الشخصية أن تسيطر عليها عندما وقعت في حب مكرم وتزوجته .. وأنها في حبها لمكرم وغيرتها عليه قد خرقت لائحة الجمعية التي تحرِّم مثل هذه المشاعر الدنيا؛ فلم تعد تصلح للقيادة. وبعد هذا الانقلاب يتولى غريب بنفسه رئاسة الجمعية.

والحقيقة أن وقوع نبوية في حب مكرم ودخولها في منطقة خصوصية المشاعر الإنسانية؛ يمثل في مسرحية «ميت حلاوة» إرادة التغيير التي تأتي من داخل البشر أنفسهم، وليس من خلال أي عامل خارجي من عوامل الحبكة الدرامية .. فالجمعية لم تفلح في الحقيقة في حل المشكلة الاقتصادية، ورفوفها ظلَّت دائمًا خاوية لا تحوي إلا أقل القليل بالرغم من كل الشعارات والاجتماعات والهتافات .. وزقزوق نفسه — أكبر المتحمسين — يعبِّر عن هذه الحقيقة المؤلمة عندما يقول بطريقته الخطابية المثيرة للسخرية: «كانت الخيرات تعم الجميع في الماضي بينما يسود الفقر في حقيقة الأمر وواقع الحال!» .. ومع عجز الجمعية عن حل المشكلة الاقتصادية رغم كل الشعارات؛ عجزت أيضًا عن إلغاء إنسانية الإنسان، وأيضًا رغم كل الشعارات!

ولقد عجزت كل محاولات نبوية نفسها أثناء رئاستها للجمعية عن قتل الشعور بخصوصية الحب الذي تتولد عنه بالضرورة مشاعر الغيرة وحب التملُّك .. ولكن المفارقة الأساسية التي يبني عليها المؤلف تطور الحبكة؛ هي وقوع نبوية نفسها فيما كانت تحذِّر منه أتباعها .. فهي أولًا وأخيرًا بشر .. وهي عندما أحبت مكرم بدأت تدرك قيمة المشاعر الإنسانية وتفرُّدها وخصوصيتها .. وهكذا — كما تقدَّم القول — يبدأ التغيير من داخلها هي .. عندما تتحول من طاغية إلى إنسانة تحب، وتحاول حماية حبها بوصفه شيئًا خاصًّا بها هي، لا دخل للتجربة الشمولية فيه .. ومن هنا يتم دقُّ المسمار الأخير في نعش التجربة التي عاشت بها «ميت حلاوة» سنين طويلة؛ عندما تدرك نبوية أنها ساهمت في

خلق وحش كبير — هو الجمعية — وسمحت له مع بقية أهل «ميت حلاوة» أن يلتهم إنسانيتهم.

وعند هذه النقطة تكون حركة الحدث قد سارت في خطوط متقابلة بعد أن كانت تسير في مستويات متوازية .. ففي الوقت الذي تدرك فيه نبوية إنسانيتها من خلال مكرم، وتلفظ النظام الشمولي الذي صنعته بيديها؛ يتحوَّل غريب إلى طاغية حقيقي بعد أن يتخذ لنفسه زوجة من فتيات القرية وهي عبلة .. الفتاة البلهاء الساذجة في بداية المسرحية التي لا تلبث بعد زواجها من غريب أن تتصرَّف وكأنها مالكة الجمعية بما فيها ما دامت زوجة صاحب السلطة .. وهنا يعطينا المؤلف صورة لذلك النوع من الحكام الذين يحوِّلون التجربة السياسية إلى مغنم شخصي لهم .. ويصل هذا الاتجاه إلى قمته عندما يستولي إبراهيم بدوره على السلطة، بعد أن يدبِّر انقلابًا ضد غريب .. فعندما يستولي إبراهيم على السلطة يصرِّح دون مواربة ولا مواراة أنه «لا يمكن إنعاش الريف دون إنعاش مجلس الإدارة».

والحقيقة أن إبراهيم الذي يأتي به الانقلاب الثاني؛ ما هو إلا التجسيد الكامل لجرثومة الفساد التي كانت كامنة في نظام الجمعية منذ البداية.

ويهمني قبل أن أختتم هذه الدراسة العاجلة أن أتوقف قليلًا عند الدور الذي يؤديه التوازي بين ثنائي مكرم ونبوية من جانب، وغريب وعبلة من جانبٍ آخر؛ فالتقابل والتضاد بين حركة الثنائي الأول وحركة الثنائي الثاني يمثِّل نقطة الارتكاز في بناء المسرحية .. فبينما نجد أن حركة نبوية ومكرم الدرامية تبدأ بالتسليم بمواضعات «ميت حلاوة» وقوانينها الخاصة لتنتهي من خلال الحب إلى إدراك فساد تجربة الجمعية، وبالتالي إدراك إنسانيتهما وعثورهما على ذاتهما؛ نجد أن الحركة الدرامية لغريب وعبلة هي الخط المضاد لذلك .. فغريب يبدأ برفض «ميت حلاوة»، ثم ومن خلال الزواج القائم على المصلحة يستوعب تجربتها، ويسخِّرها لمصلحته الشخصية .. وعبلة لم تكن في البداية أكثر من فتاة بلهاء لا وعي لها بالأبعاد الكبرى لتجربة «ميت حلاوة» بعكس نبوية صاحبة التجربة وعقلها المفكر في البداية، وعندما تستولي عبلة على التجربة من خلال زواجها بغريب تتحول من البراءة الساذجة إلى إنسانة قد تجمَّدت إنسانيتها، وأصبحت ترى كل شيء بعين السلطة التي تعطيها الفرصة لامتلاك ما ومَن في بيت الشعب، وبعده «ميت حلاوة» ذاتها.

فالحركة في الثنائي الأول هي من الجمود وفقدان الذات إلى إدراك كل منهما لإنسانيته، ومن خلال ذلك عثوره على ذاته، ويعبِّر عن ذلك رمزيًّا صيحة مكرم المترددة في أعمق

أعماق المسرح بأنه قد عثر على الغنم بالرغم من كل شيء .. أما الحركة في الثنائي الثاني فيمكن وصفها بأنها حركة من البراءة إلى فقدان الذات، وبالتالي فقدان كلٍّ من غريب وعبلة لإنسانيتهما.

إن «ميت حلاوة» مسرحية متعددة الخطوط، متشابكة المستويات، لا تكفي دراسة قصيرة كهذه أن تفيها حقها .. أو تفصح عن عمق رؤيتها الفنية وأحكام بنائها الدرامي الذي تلعب فيه كل شخصية وكل جملة من جمل الحوار وظيفة أساسية في الكشف عن أبعاد الحدث وتطويره .. ولكن عذري هنا أن القارئ يملك أمامه المسرحية نفسها، وهي تفصح في نسيجها وتركيبها عن أن مؤلفها قد استطاع بعد رحلة دامت أكثر من خمسة عشر عامًا مع المسرح أن يمتلك حقًّا كل أدوات الكاتب المسرحي المُجيد .. والأصيل.

هنـــداوي